

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحوراء

السنة ٢٢



قِسْمُ الشُّؤْنِ الْفِكْرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ شُعْبَةُ الْفِكْرِ وَالْإِبْدَاعِ

العنوان: صدى الحوراء - عليها السلام - .
الناشر: العتبة العباسية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية .
الإعداد والتحرير والمراجعة اللغوية: شعبة الفكر والإبداع - وحدة الإصدارات .
التصميم: حسين عقيل - حسين شمran .
الطبعة: الأولى .
عدد النسخ: ٢٠٠٠ .
العراق - كربلاء المقدسة .
شهر رجب الأصب - ١٤٣٥ هـ .
حقوق النشر والتوزيع محفوظة للعتبة العباسية المقدسة .



١١ أجر البكاء على مصائب الحوراء عليها السلام

١٥ الاقتداء بزینب عليها السلام

١٩ زیتب بنت علی عليها السلام ربيبة الوحي والشهادة

٢٥ وارثة الزهراء عليها السلام

٢٩ وزادت البنت على أمها

٣٣ عقيلة آل علي

٣٩ أوجه التشابه بين زينب وخديجة عليها السلام



معارف زينية ٤٣

السيدة زينب عليها السلام جهاد وتضحية ٥١

العقيلة زينب عليها السلام روايات ومواقف ٥٧

عبرات من سيرة الحوراء عليها السلام ٦٩

عالمة غير معلمة ٨١

فصاحة وبلاغة وشجاعة الحوراء الأدبية ٩١



الافتتاحية

السيدة زينب الكبرى هي السيدة الثانية بعد سيدتنا نساء العالمين فاطمة الزهراء - صلوات الله عليها - كانت حياتها بجرماً متلاطماً بالفضائل والمكرمات، والقداسة والروحانية، شخصية ازدهت فيها الطاقات والكفاءات والقابليات، ومقررات الرقي والتميز، من هنا، فكل صفحة من صفحات حياتها المشرفة جديرة بالدراسة والتحقيق والبحث والتحليل، فمن ناحية تعتبر القراءة في ملف حياتها نوعاً من أفضل أنواع العبادة وسبل التهرب إلى الله - سبحانه -؛ لأنها إطلاع على حياة سادات أولياء الله - تعالى - ومن ناحية أخرى: التنبيه في اللقطات التاريخية التي وصلت إلينا عن حياة هذه السيدة يعطي الإنسان درساً مفيداً تنفعه في كثير من مجالات حياته، يُضاف إلى ذلك: أنَّ التأليف عن حياتها المتألمة يعتبر محاولة لإعطاء صورة واضحة عن خير قدوة للنساء المؤمنات، بل خير أسوة لكل امرأة تبحث عن السعادة في الحياة، والتميز بجنتها غرضها السماوات والأرض.

إنَّ السيدة زينب حصيلة أبوين، كانت حياة كل واحد منهما مشرقة بالمزايا والمكرمات، وكل صفحة منها تفتح للإنسان آفاقاً واسعة يظير الفكر في أرجائها، وتسبح كواكب الفضائل في فضائها، إنها نادرة من نواذر الكون، وآية إبداع في خلق الله - تعالى -، وملقى آيات العظمة، ومفخرة التاريخ، ونحن إذا استقرنا أسباب العظمة وموجبات الشرف في تاريخ البشر على اختلاف أنواعها وأقسامها نجد كلها أو جلها مجمعة ومتوفرة في السيدة زينب الكبرى - عليها السلام -.

ليس النسب الرفيع، والعلم الغزير، والصبر على المكاره، والشجاعة، والوفاء، والعاطفة، والشفقة، والحياء، والعفة، في طليعة الفضائل؟! فما تقول لو أنَّ هذه الصفات، وغيرها من مكارم الأخلاق اجتمعت بصورة واحدة في سيدة؟!

ألا تعتبر تلك السيدة نادرة الكون، ومفخرة التاريخ؟!



الحسين بن علي

أجر البكاء على مصائب الحوراء عليها السلام

حيدر فائق/ كاتب وصحفي

يُروى

أنّ بعد ولادة السيدة

زينب-عليها السلام- جاء الإمام

الحسين-عليه السلام- وكان عمره الشريف ثلاث

سنوات- إلى جده رسول الله -صلى الله عليه وآله- وقال: يا جدّاه،

الله -تبارك وتعالى- رزقني أختاً، وما أن سمع رسول الله -صلى

الله عليه وآله- هذا الحديث من الحسين تألم كثيراً

وأجهش بالبكاء.

فسأله الحسين - عليه السلام - : لم تبكي يا جدّاه؟! فقال له رسول الله - صلى الله عليه وآله - : يا نور عيني، عمّا قريب ستعرف سرّ هذا البكاء!! إلى أن أتى جبريل يوماً إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله - وهو يبكي فسأله رسول الله - صلى الله عليه وآله - : لم تبكي يا جبريل؟ فقال جبريل: ابنتك - زينب - ستبتي في حياتها بمصائب كثيرة أولها مصيبة فراقك ثم مصيبة فراق والدتها الزّهراء ثم مصيبة قتل أبيها أمير المؤمنين ثم مصيبة أخيها الإمام الحسن ثم أعظمها وأشدّها مصائب كربلاء وفيها يُحدّوَدَ ظهرها ويَشِيبُ رأسها!! بكى رسول الله - صلى الله عليه وآله - ثم وضع وجهه الكريم والغارق بالدموع على وجه زينب وبكى بكاءً عالياً.. سألتها الزّهراء عن سبب بكائه فشرح لها رسول الله - صلى الله عليه وآله - بعض المصائب التي سوف تَرِدُ على ابنتها زينب، فقالت الزّهراء: وما أجز من بكى على ابنتي زينب؟! فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : أجره كأجر من بكى على مصائب ولدي الحسن والحسين (١).

وهذه ميزة كُتِبَتْ للسيدة زينب - عليها السلام - بأن يكون أجر البكاء على مصائبها كأجر البكاء على أخيها الحسين - عليه السلام - مع العلم ما للبكاء على الحسين - عليه السلام - من الأجر العظيم والثواب الجزيل.

قال الإمام السّجاد - عليه السلام - : "أَيُّا مُؤْمِنٍ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدَّهِ بَوَّاءُ اللَّهِ غُرَفًا فِي الْجَنَّةِ يَسْكُنُهَا أَحْقَابًا" (٢).

إنّ البكاء على مصائب أهل البيت - عليهم السّلام - والتلّيف والتوجّع لما أصابهم، يتضمّن معنى مواساتهم والوفاء لهم وأداء بعض حقوقهم التي افترضها الله - تعالى - في آية المودة وغيرها، فقال - عزّ من قائل - : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (٣)، وقد روى علماء المسلمين أنّه لما نزلت هذه الآية الكريمة قالوا: يا رسول الله، من قرأبتك الذين وَجَبَتْ علينا مودّتهم؟ قال - صلى الله عليه وآله - : "عليّ وفاطمة وابناهما" (٤).

كما يتضمّن البكاء على مصائب العترة الطاهرة انتهاءً من المؤمن الباكي إلى صفّ أهل البيت -عليهم السّلام-، وإعلاناً منه لنفوره من أعداء أهل البيت وقتلتهم، وإدانةً منه لتلك الجرائم البشعة التي ارتكبت في حقّ العترة الطاهرة -عليهم السّلام-، وإعلاناً من الباكي عن استعداده للسّير تحت لوائهم والانضواء في ركبهم والالتزام بنهجهم -صلوات الله عليهم أجمعين-.

الهوامش:

١- زينب الكبرى بطلة الحرية/ أبو القاسم الديباجي/ ط١/ ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م/ ص ٢١.

٢- بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي (١١١١هـ)/ الناشر مؤسسة الوفاء، بيروت لبنان/ ج ٢١/ ص ٦٣.

٣- الشورى: آية ٢٣.

٤- محمد باقر المجلسي/ المصدر السابق/ ج ٢٣/ ص ٢٣٢.





الحسين بن علي

الاقتداء بزینب علیها السلام

ثمرة

من ثمار النبوة

والإمامة، تكتنف العظمة كل

جوانبها، وعندما تريد أن تجد لها مثيلاً لا تجد

من يشاطرها ذلك إلا الحسن والحسين -عليهما

السلام-.

كانت الحوراء -عليها السلام- كأمّها في جهادها وصبرها وتضحيتها، فقد حملت لواء الرّسالة في يدها، وقارعت كي لا تنكسر تلك الراية، فلو أنّها لم تنهض بدورها، أو أنّها لم تكن المرأة بعد الزهراء -عليها السلام- لاستغربنا ذلك، ولكن أن تكون المرأة الصّافية العاكسة لحقيقة الذات الفاطمية فلا نستغرب شيئاً، لأنّ النّواة طاهرة، والرّعاية طاهرة، فلا بُدّ أن يكون النتاج كذلك.

فعندما نريد أن نقرب من مساحتها لنقرأها، تتفتح المسارات أمامنا، بحيث قد لا نهتدي لترتيب الأوراق فيما هو المهم والأهم، لكن الذي يشفع لنا أننا نلتمس من كل مسار ما يمكن أن يوصلنا إلى المبتغى والهدف، ألا وهو التّعرف على عوالم هذه الإنسانة العظيمة، والسيدة الجليلة.

إنّها زينب، التي تعني فيما تعنيه (زينة النساء) وهي كذلك. وهكذا كبرت زينب، فكان النبي -عليها السلام- يضمّها إلى صدره، وهي ما بين أربع وخمس سنين، ويودعها الكثير من الأسرار.

غادر النبي محمد -صلى الله عليه وآله- إلى عالم ملكوته الخاص، وجاء دور بيت الإمامة الذي أخذ عنه العلم، ومنه أخذت الشّجاعة والفصاحة، فكثير من الناس يقرأ ويتأمل وينظر، ولكنه يتخلى عن دوره إن عُرض عليه، أما العقيلة زينب -عليها السلام- فهي الفكر والعمل، إذ تلقت أصول العلوم والمعارف في بيت باب مدينة علم الرّسول الأعظم -صلى الله عليه وآله-، وفي كربلاء والكوفة والشّام جسّدت ما تلقّته من ذلك البيت الطّاهر من جهاد وتضحية وصمود ومواجهة لأشرس أعداء.

لقد رأت في كربلاء صوراً تقشعرّ لها أظلة العرش، فالأجساد موزّعة، والرؤوس مفرّقة عن الأجساد، في أبشع صورة عرفتها معارك الفصل، كل ذلك رآته عين زينب -عليها السلام-، والأكثر من ذلك، أنّها وقفت على شمر وهو يقطع أوداج الحسين -عليه السلام-، لكنّها لم تنحن، نعم، جرت دمعته، حتى قبل مصرعه، وقد كفكفها

الحسين -عليه السلام- قائلاً لها: أختي، تعزّي بعزاء الله، وهي كلمة المعصوم التي منحتها القوّة التكوينية، فتعزّت بعزاء الله، ووضعت يديها تحت ظهر الحسين-عليه السلام- ثم رفعت طرفها نحو السّماء وهي تقول: يا رب، إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى، فأية عظمة هذه؟

وفي الكوفة، حيث أراد اللعين عبيد الله بن زياد بن أبيه أن يستفزّها، ولكنها كانت له بالمرصاد، في موقف ضعفت فيه الرّجال وقويت زينب-عليها السلام-. فقد بينت صورتهم الحقيقية في الكوفة، وجردتهم في الشّام، ثمّ عادت وهي الأمانة المؤتمنة على الركب الحسيني.

والسّؤال الذي يطرح ونحن نتأمّل في حياة الصّديقة الصّغرى: أين تقف المرأة اليوم من هذه السيّدة الجليلة؟ فأين النّساء من زينب في مقام العلم والمعرفة ومقام الهدى والتّربية، ومقام الجهاد والتّضحية.

إنّ فتاة اليوم، عليها من المسؤوليات أكبر مما كان على الأمّهات في السّابق؛ لأنّ ما يعترض الطّريق أكبر مما كان بالأمس.

وخلاصة الأمر علينا أن نسأل أنفسنا: أين يقف الأبوان من البنت؟ وأين تقف البنت من نفسها؟

نسأل الله -سبحانه- أن نكون ممن يسر على خطى الحوراء زينب-عليها السلام- في الحياة الدّنيا، ويرزقنا شفاعتها في الآخرة.





الحديث النبوي

زينب بنت علي (عليه السلام) ربيبة الوحي والشهادة

الشيخ محمود عبد الرضا الصافي / كاتب وباحث اسلامي

إنَّ

للتربية دوراً كبيراً

في حياة الانسان، فإن كانت التربية

على وفق المنهج الصحيح والسليم كان الإنسان

صالحاً، وإن كان على غير ذلك حتماً سيكون

عنصراً طالحاً، ومن ثم مضرراً.

والتربية تعكس صورة المربي، وما يحمل من قيم، وفضائل، ومن النماذج التربوية في الاسلام التي عكست ما نهلته من اسرتها، وبيت نشأتها، ومحل تربيتها، فكانت مثلاً للتربية الصالحة، والعلم، والشجاعة، والبطولة، ألا وهي عقيلة الطالبين، ونسل الهاشميين، وجبل الصبر، زينب بنت علي بن أبي طالب -عليهما السلام .

فهي حقا ربيبة الوحي والشهادة، كونها ولدت في الخامس من جمادى الأولى في السنة الخامسة للهجرة النبوية المباركة، في بيت الوحي والتنزيل، ورضعت من ثدي الايمان، والعصمة، والنزاهة ونشأت، وترعرعت في أحضان النبوة، وتربت في بيت الرسالة، ونمت في مهد الولاية، والامامة.

فأبوها: امير المؤمنين علي بن ابي طالب -عليه السلام- .

وأُمها: الزهراء فاطمة بنت النبي المصطفى -صلى الله عليه وآله- سيدة نساء العالمين -عليها السلام-، والتي كان يدعوها النبي -صلى الله عليه وآله- بـ(أم ابیها)، وقال في حقها الكثير من الأحاديث في فضلها ومنزلتها.

عاشت مدة خمس سنوات مع جدها الرسول الأعظم محمد -صلى الله عليه وآله- ، وحتى أستشهد في السنة العاشرة للهجرة، ومن ثم حضرت استشهاد أمها الزهراء -عليها السلام- في نفس السنة، وهي مظلومة غاضبة على من آذاها .

فعهدت جدها وامها، وما كان من دور الوحي، ونزول الآيات البينات على جدها رسول الله -صلى الله عليه وآله-، وهبوط الوحي في بيت أبيها مع وجود جدها فيها يذكره لنا التأريخ من آيات التنزيل في حقهم -صلوات الله وسلامه عليهم- .

لقد كانت الفترة التي عاشتها الحوراء زينب في ظل هذه الأجواء أن أخذت منهم العلم والمعرفة، وكذلك اكتسبت من جدها، وأبيها، وامها، وأخوها الصبر المرير الذي تجرعه -عليهم السلام- .

ففي سنة أربعين للهجرة شهدت زينب العقيلة استشهاد أبيها أمير المؤمنين علي بن

أبي طالب -عليه السلام- عندما ضربة اللعين أشقى الأولين والآخرين عبد الرحمن بن ملجم في مسجد الكوفة المعظم وهو ساجد في محرابه، وذلك في فجر يوم التاسع عشر من شهر رمضان في الليلة الأولى من ليالي القدر المباركة .

ثم عادت المأساة عليها عندما حضرت أخيها المجتبي الحسن -عليه السلام-، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، ويتنزع منه ألم السم الذي تجرعه من قبل اللعينة زوجته جعدة بنت الاشعث وذلك في السابع من شهر صفر.

وشاهدت وحضرت ما جرى من أحداث في المدينة في حال مراسيم دفنه عند قبر جده رسول الله -صلى الله عليه وآله-، ورفض بعض الأشخاص ان يدفن الى جوار جده المصطفى -صلى الله عليه وآله-، فحدث ما حدث من فتنه فعرج الإمام الحسين -عليه السلام- مع بني هاشم، ودفنوه في البقيع الغرقد.

وهذه الأحداث كانت مقدمة لمهمة اختيرت زينب بنت علي بن أبي طالب إليها، وإدارة مهامها وأمورها، ولقد قدمت فيها الكثير من أهل بيتها ليس على وجه الأرض من مثيل كلهم كانوا معها مستأنسة بهم، ولكن في صبيحة نهار واحد وإذا الكل صرعى مجزرين كالأضاحي على رمضاء كربلاء، وهي حاضرة وشاهدة على أشنع جريمة فجع بها التاريخ الاسلامي، وحتى يومنا هذا، حيث ارتكب في حق النبي المصطفى وأهل بيته وذريته -صلوات الله وسلامه عليهم- جريمة القتل، والسلب، والنهب، دون سبب أو تبرير سوى أنهم وقفوا بوجه الظلم والباطل.

فكان لزينب العقيلة دور عظيم حيث اختزلت في نفسها، وصبرها كل ما مر عليها من المصائب والمحن في حياتها بهذه المحنة والمأساة العظمى التي مرت عليها في أحداث سنة ٦١هـ يوم العاشر من محرم الحرام.

وكان لها دور فعال في مواجهة الطغاة والظلمة، واطهار مظلومية اهلها وبشاعة فعل هؤلاء المجرمين والقتلة من بني امية، وخطبت وأوضحت جرائمهم وقبح أفعالهم تجاه

نسل خير البرية أخيها الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب -عليهما السلام-.
فبهذا البيان نعرف ان زينب بنت علي بن ابي طالب حقاً ربيب بيت الوحي
والشهادة، وأنها بطلة كربلاء لما لها من الشجاعة، والبطولة في مواجهة هؤلاء الظلمة،
وأنها جبل الصبر كونها أعطيت صور واضحة للصابر في سبيل الله -تبارك وتعالى-.
ف(سلام على الحوراء ما بقي الدهر وما اشرقت شمس وما طلع البدر
سلام على القلب الكبير وصبره بما قد جرت حزنًا له الأدمع الحمر

الحسين بن علي





الحسين بن علي

وارثة الزهراء (عليها السلام)

علي حسين / صحفي

حينما

نريد أن نكتب عن

عقيلة بني هاشم زينب بنت علي

أمير المؤمنين - عليه السلام -، وندرس حياتها

المباركة، يجب الالتفات إلى أننا نستعرض حياة امرأة غير عادية

لها أدوار كبيرة في التاريخ، وآثار عظيمة في الحياة ... لم ترحل عن الدنيا إلا

بعد أن تركت بصماتها الخالدة على جبين الدهر، لما قامت به من أدوار زلزلت

عروش الظالمين، وأسقطت دولة التفاق والشقاق، وأعادت

الحياة إلى روح الدين الإسلامي الحنيف بعد

أن أوشك على الموت، وكاد أن

يصبح أثراً بعد

عين.

إن كل من ترجم لفخر المخدرات، واطلع على حياتها الطيبة، وسيرتها الطاهرة، لم يملك إلا أن ينحني أمامها إجلالاً وإكباراً وإعظاماً، وذكرها بكل حسن جميل، وأجمع على أنها على مثال أمها في الفضائل والمكرمات، والصفات الحميدة، والخلال الكريمة، والمثل العليا.

لقد كانت السيدة زينب نادرة في شجاعتها ومروءتها، وفصاحة لسانها، وقوة جنانها، وحسن تبيانها، من أجل هذا كان جدير بمن يطلب الحق أن يقتبس من سيرتها، ويشنف أذانه بذكرياتها العطرة الجليلة، حتى يأخذ من ذلك أسوة يهذب بها نفسه، ويحني بها ثمار المعرفة، وعلو الهمة.

إننا حينما نطالع في حياة الحوراء زينب فإننا نقف أمام قوة الروح التي علت على قوة المادة، وقوة الإيمان التي زلزلت عروش قوائم الشك والنفاق، وقوة النفس التي انتصرت على زيف الباطل.

لقد قدّمت العقيلة الطاهرة لكل امرأة برهاناً عملياً أنّ بإمكانها أن تحمل لواء الحق منهاجاً وعقيدة، وأنّ بإمكان المرأة أن تؤدي دوراً عظيماً لا ينمحي أثره على مرّ السنين، ولكن بشرط أن تكون صادقة مخلصّة مع ربها، لا تتوانى عن نصرة إمام زمانها. لقد حازت من الصفات الحميدة ما لم ينالها بعد أمها أحد، حتى حقّ أن يقال: هي الصديقة الصغرى.

كل إمراه تبحث عن كرامتها في الحياة حريّ بها أن تقتدي بالعقيلة زينب، وتسير على نهجها، وتقتبس من أنوار حياتها الدروس المفيدة التي تير لها الدرب في الحياة الدنيا، وتنفعها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ابنة الزهراء لم تتهرّب من المسؤولية، ولم تستسلم لأقدار الأيام، هي هي كأمّها حينما حملت مسؤولية أبيها يوم أسلمت أمها خديجة الكبرى نفسها إلى خالقها، وحتى بعد أن

تزوّج الرسول - صلى الله عليه وآله - ليخفف عن ابنته فاطمة أعباء المسؤولية، ففاطمة هي الأول والآخر.

وعلي كذلك، فرغم أنه تزوّج ليخفف عن ابنته عقيقة بني هاشم أتعابها، ويرفع عن كاهلها شيئاً من مسؤوليتها اتجاهه، لكن لم يكن كما أراد، فزينب هي الأول والآخر له. ما أروع هذا الإخلاص لدى الأم والبنت، وما أعظم هذا الوفاء عند البنت والأم، وما أسمى هذا الشبه في المثل العليا بين هاتين الكريمتين .

فلا عجب أن تكون زينب -عليها السلام- بهذه المكانة السامية التي أهلتها أن تسدّ فراغ سيدة نساء العالمين، وهي -عليها السلام- في سنّ الطفولة المبكرة، فإنّها -صلوات الله عليها- حفيدة النبي، وابنة الوصي، وعقيقة الزهراء، وأخت الحسين فحريّ بها أن تكون شبيهتهم في السمو والرّفعة.

وحريّ بكل أمّ أن تقتدي بالزهراء، فتهتم بتربية بناتها تربية فاضلة، وتعدهنّ إعداداً جيداً من أجل المستقبل .

وحريّ بكل بنت أن تتعلم من زينب الجد والاجتهاد في الحياة، من أجل صنع نفسها، وبناء شخصيتها بدل أن تشغل وقتها بتوافه الأمور.



العقيلة كوكبي

الحسين بن علي

وزادت البنت على أمها

عبد الحسين البحراني / باحث اسلامي

مثلما

حمل أهل البيت -

عليهم السلام - من الرجال -

مشاعل النور والهداية للبشرية ابتداء من جدّهم

الرّسول الأعظم محمد - صلى الله عليه وآله - ، الى أخيه ووصيّه

وباب مدينة علمه أمير المؤمنين - عليه السلام - الى الأئمة الهداة

من ولده وانتهاءً بالقائم المهدي - عجل الله تعالى

فرجه - الذي يملأ الأرض قسطاً

وعدلاً

فقد اضطلعت نساء أهل البيت الطّاهرات بأدوار جسيمة في الدّفاع عن الإسلام، بل أصبحت نساء أهل البيت مثلاً أعلى في عالم النّساء عبر التاريخ.

وتبدأ هذه الأدوار بالدّور الكبير الذي نهضت به أمّ المؤمنين خديجة الكبرى -عليها السلام- التي كانت مؤمنة بالله ومصدقةً بكتابه ومواسية للرسول الكريم في محتته طيلة أيامه تدعّمه بكلّ الأموال التي كانت بحوزتها وتدافع عنه بكل ما لديها حتى رحلت عن هذه الدّنيا صابرة محتسبة، ثم تلا هذا الدّور دور سيّدة العالمين فاطمة الزّهراء -عليها السلام-، عندما وقفت في صفّ أمير المؤمنين لإحقاق الحق وإزهاق الباطل حتى سقطت شهيدة في سبيل الدّفاع عن مبادئ الإسلام الحق.

ثم جاء بعد ذلك الدّور الثّالث والذي يعد امتداداً لهما في ترسيخ مبادئ الإسلام والعمل بها ألا وهو دور السيّدة الطّاهرة الحوراء زينب بنت علي بن أبي طالب في رحلتها مع سيّد الشهداء من المدينة المنورة الى كربلاء، ثمّ مع السّبايا من كربلاء الى الكوفة ومنها الى الشّام، ثم رجوعها الى المدينة.

وقد ضربت الحوراء زينب في كل ذلك أروع أمثلة الصبر والعقيدة عندما نظرت الى إخوتها وأهل بيتها وصحبهم وقد مزّقتهم السيوف والرّماح فتقدّمت نحو جسد أخيها الإمام الحسين في واقعة الطّف ووقفت عنده ثم نظرت الى السّماء وقالت: "ألّهم تقبل منّا هذا القربان".

إنّ ما رآته السيّدة زينب في حياتها من المصائب والأحزان يفوق التّصور، ومن يطلع على سيرة حياتها يجد أنّها سلسلة حلقات متصلة من الأرزاء، فقد شاهدت وهي صغيرة السنّ استشهاد جدّها رسول الله -صلى الله عليه وآله- وأثره البالغ على المسلمين عامة وعلى أهل البيت خاصة. كما أنّها شاهدت ما جرى على أمّها وأبيها واغتصاب حقّهما ومنعهما إرثهما الى غير ذلك من المصائب التي يقطّع القلوب ذكرها، ثم شاهدت ما حلّ بأخيها الحسن المجتبي وقتله بالسّم ومنع دفنه قرب جدّه الأعظم -صلى الله عليه وآله-.

أما في كربلاء فالقلم لا يستطيع أن يصف ما جرى في تلك الملاحمة فرغم كل ما كتب وسطر حول فضلها وصبرها وثباتها وعظمتها إلا أن كل ذلك قليل في كثير من حقها، لقد جسدت السيِّدة الحوراء في كربلاء صفات أهل البيت فجسدت عظمة وبلاغة وشجاعةً وصبراً وإباءً الخمسة أصحاب الكساء -صلوات الله عليهم أجمعين- لقد جسدت في موقف واحد كل هذه الصفات العظيمة .

انتهت المعركة.. اخوتها وبنوها وأهل بيتها وصحبهم أجسادهم ممزقة بالسيوف والرماح وبدون رؤوس.. الأرامل والثكالى من حولها وهنّ يندبن قتلاهنّ وقد تعلق بهنّ الأطفال من الذعر والعطش.. جيش العدو يحيط بها من كل جانب وقد أحرق خيامها فماذا صنعت؟ هل انهزمت أمام هذه النكبات؟ او استسلمت لهذه الأرزاء؟ كلا. لقد وقفت بين يدي ربها للصلاة.. لقد كانت صلاتها هذه امتداداً لصلاة جدّها رسول الله- صلى الله عليه وآله- في المسجد الحرام والمشركون من حوله يرشقونه بالحجارة وهو ساجد لله -تعالى- وصلاة أبيها أمير المؤمنين في صفين في قلب المعركة وصلاة أخيها في كربلاء والسهم تنهال عليه.. فكلّ هذه المصائب والمحن لم تزدها إلا ثقة وإيماناً بالله -تعالى-.





الحسين بن علي

عقيلة آل علي

فاطمة كامل المسعودي / باحثة اسلامية

لقد

تمثلت في عقيلة

آل علي جميع الصفات الكريمة

والنّزعات الشّريفة؛ فكانت أروع مثل للشرف

والعفاف والكرامة، ولكلّ ما تعتزّ به المرأة

وتسمو به.

لقد ورثت السيِّدة زينب من جدّها الرسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- ومن أبيها الإمام أمير المؤمنين -عليه السّلام- جميع ما امتازوا به من المثل الكريمة، والذي كان من أبرزها الإيمان العميق بالله -تعالى-، وقد ضارعتها العقيلة في هذه الظّاهرة. وقد روى المؤرّخون صوراً مذهلة عن إيمانها، كان منها أنّها صلّت ليلة الحادي عشر من محرّم، وهي أقصى ليلة في تأريخ الإسلام حلّت بهم.

وكان من عظيم إيمانها وإنابتها إلى الله -تعالى- أنّها في اليوم العاشر من المحرّم وقفت على جثمان أخيها، وقد مزّقه سيوف الكفر، ومثّلت به العصاة المجرمة، فقالت كلمتها الخالدة التي دارت مع الفلك وارتسمت فيه قائلة: «اللّهم تقبّل هذا القربان، وأثبه على عمله...».

تدول الدول وتفنّي الحضارات وهذا الإيمان أحقّ بالبقاء وأجدر بالخلود من هذا الكوكب الذي نعيش عليه.

لقد آمنت حفيدة الرسول -صلى الله عليه وآله- بثورة أخيها سيّد الشهداء -عليه السّلام- أبي الأحرار، وجاهدت جهاداً لم يعرف التأريخ مثله في مرارته وأحواله، وتبنّت جميع أهداف الثورة ومخططاتها، كما أنّها أبرزت قيمها الأصيلة في خطبها التّاريخية التي أوجدت وعياً أصيلاً كان من نتائجه الثّورات الشّعبية المتلاحقة التي أطاحت بالحكم الأموي، وأزالت ذلك الكابوس المظلم عن الأمّة الإسلاميّة.

وليس في العالم الإسلامي وغيره امرأة تضارع سيّدة النّساء السيّدة زينب في قوّة شخصيتها، وصلابة عزميتها، وعظيم إيمانها؛ فقد رأت ما حلّ بأهلها من الرّزايا والكوارث التي تמיד من هولها الجبال، وهي صامدة قد تسلّحت بالصّبر، وسلّمت أمرها إلى الله -تعالى-.

رأت حفيدة رسول الله -صلى الله عليه وآله- الشّباب الذين هم كالبدور من أبنائها، وأبناء إخوتها وعمومتها، قد تقطّعت أوصالهم على صعيد كربلاء، رأت الأطفال

الأبرياء من أهل البيت يُذبحون بوحشية لا مثيل لها بأيدي أولئك القُساء الممسوخين .
رأت حرائر النبوة قد أشرفن على الهلاك من ألم العطش القاتل وهنّ يندبن بذوب
أرواحهنّ قتلاهنّ، وهي -سلام الله عليها- تُسلّيهنّ وتأمُرهنّ بالخلود إلى الصّبر .
رأت أخاها سيّد الشهداء الذي هو عندها أعزّ من الحياة قد أحاطت به أوغاد البشرية،
وهم يوسعونه ضرباً بسيفوفهم ورماحهم ونبالهم حتّى احتزّوا رأسه الشريف .

رأت هجوم الكفرة العتاة بعد مقتل أخيها على خيام النّساء وقد أضرّمو النار فيها،
والمخدّرات من بنات الرسول يترّاكن في البيداء خوفاً من الحريق، وقد تكالب على
نهبهنّ أعداء الله ... كلّ هذه المصائب والرّزايا قد حلّت بحفيدة النبي -صلّى الله عليه
 وآله-، فما استكانت ولا وهنت وإنّما زادت إيماناً وتماسكاً وتسليماً لأمر الله .

إنّ كارثة كربلاء وما جرى على بنات رسول الله -صلّى الله عليه وآله- من صنوف
الأسر والذلّ والتنكيل تستدعي أن ننظر إلى الوثائق السّياسيّة، وإلى الأحداث التي
جرت بعد استشهاد النبي -صلّى الله عليه وآله- مباشرة ؛ فإنّها المصدر الأساس لما حلّ
بأهل البيت -عليهم السّلام- من عظيم الرّزايا والخطوب .

وعلى أيّ حال، فإنّ أدنى تأمل في أحداث كربلاء وما عانته عترة النّبي -صلّى الله عليه
 وآله- من الويلات والكوارث يستند بصورة أوّلية لا تقبل الجدل والشك إلى مؤتمر
السّقيفة والشورى؛ فهما مصدران لكلّ كارثة جرت على آل البيت -عليهم السّلام-،
كما هما السّبب في كلّ فتنة مُني بها المسلمون على امتداد التاريخ .

إنّ أعظم خدمة تؤدّي للأمة، وأكثر عائدة عليها بفضل، هي إبراز القيم الأصيلة
والمثل العليا لأهل البيت -عليهم السّلام-، وإشاعة فضائلهم ومآثرهم بين النّاس؛
فإنّ لها التأثير المباشر في نشر الفضيلة وتهذيب الأخلاق وتنمية السّلوک نحو الأفضل؛
فإنّهم -سلام الله عليهم- أشعة من نور الله في كلامهم وسيرتهم وسلوكهم، وهم سفن
نجاة هذه الأمّة وعُدلاء الذّكر الحكيم حسبما تواترت الأخبار بذلك عن جدّهم رسول

الله -صلى الله عليه وآله- .

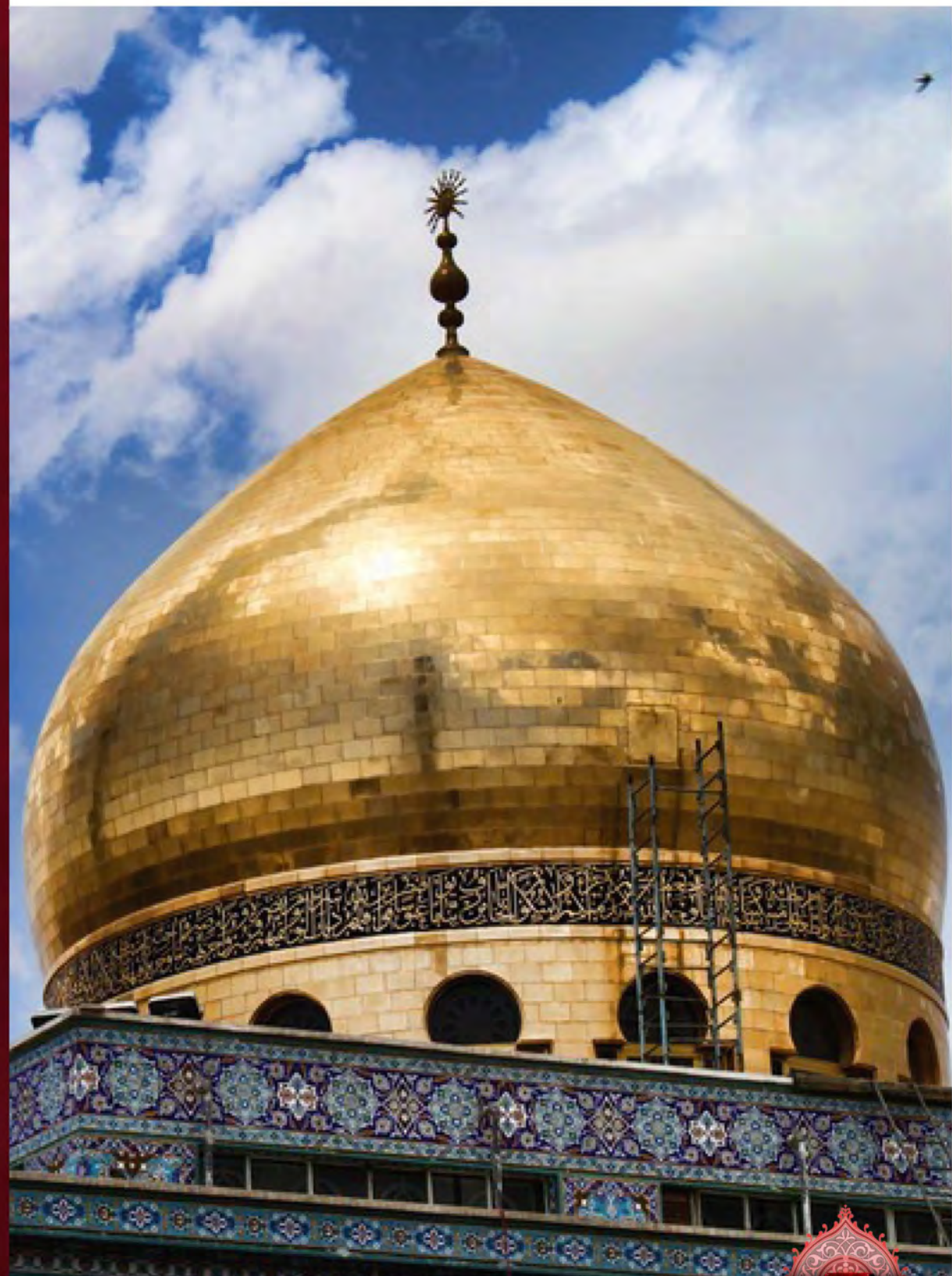
إن حياة أهل البيت -عليهم السلام- مدارس التقوى والإيمان، والجهاد والكفاح، قد وهبوا حياتهم لله -تعالى-، وأخلصوا كأعظم ما يكون الإخلاص له؛ فلا تقرأ سيرة أحد منهم إلا تجد ملف حياته حافلاً بتقوى الله وطاعته، صياماً في النهار، وقياماً بالصلاة وتلاوة الكتاب بالليل .

كما أن البارز في سيرتهم إشاعة العلم والحكمة والآداب بين الناس، والبر بالفقراء، والعطف على البائسين، ومقارعة الباطل، ومناجزة الظلم، ومقاومة حكام الجور؛ فقد تبنا -سلام الله عليهم- قضايا المسلمين، فناجزوا حكام عصورهم الذين أشاعوا الظلم والفساد في الأرض، فتعرضوا جميعاً إلى التنكيل والاضطهاد من الحاكمين حتى استشهدوا جميعاً بين مقتول ومسموم ومن بين أهل البيت -عليهم السلام- الذين رفعوا كلمة الله عالية في الأرض سيّدة النساء بعد أمها الزهراء السيّدة زينب، فهي أول سيّدة مجاهدة في الإسلام، وقد عانت أشق وأقسى أنواع المحن والخطوب؛ فقد سببت بعد مقتل أخيها من كربلاء إلى الكوفة، ومعها باقي بنات رسول الله -صلى الله عليه وآله-، وأدخلن على ابن مرجانة الذي هو أقدر إرهابي مجرم عرفه التاريخ.

ثم حملن إلى الشام سبايا فأدخلن على يزيد حفيد أبي سفيان، فخطبت السيّدة زينب في بلد يزيد خطابها التاريخي الخالد الذي نعت فيه قتله لسيّد الشهداء، وأسرّه لبنات رسول الله -صلى الله عليه وآله-، يتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد، وقد بلورت فيه الرأي العام، وأيقظت الجماهير من سباتها، وجردت الحكم القائم من كلّ شرعيّة، ودعت المسلمين إلى الإطاحة به.

لقد تجرّعت حفيذة الرسول -صلى الله عليه وآله- الغصص والمصائب التي تذوب من هولها الجبال، كلّ ذلك من أجل الإسلام والحفاظ على مبادئه وقيمه، ومناهضة الظلم والاستبداد .

إنَّ السَّيِّدَةَ زَيْنَبَ -سَلامَ اللهِ عَلَيْهَا- بِمُواقِفِها البَطُولِيَّةِ وكَفاحِها المُشرِّفِ ضِدَّ الظَّلمِ
والطَّغْيانِ يَجبُ أنْ تُكونَ قَدوةً فَذَّةً لِجَميعِ السَّيِّداتِ مِن نِساءِ العالَمينَ، وأنْ يَتَّخِذَها
قائِدةً لِمُقاَرَعَةِ الظَّلمِ، ونُشرِ العَدلِ في الأَرْضِ .



الحسين بن علي

أوجه التشابه بين زينب وخديجة (عليها السلام)

محمد رضا الاسدي / صحفي

حين

ولادة السيِّدة

الجليلة زينب أوصى رسول

الله - صلى الله عليه وآله - بالهوراء زينب

وشبَّهها بخديجة الكبرى - عليها الصَّلاة والسَّلام -، وهذا

التَّشبيه لا يخلو من المعاني السَّامية، فزينب كانت تحمل أوصاف جدِّتها

الكبرى خديجة - عليها السَّلام -، ولَمَّا كان لوجود خديجة أثر

ظاهر وملحوظ في نشر الإسلام، كذلك كانت

زينب في حمل راية الإسلام

ونشرها.

خديجة هي أول من اتبعت الرسول الكريم -صلى الله عليه وآله- من النساء ونطقت بالوحدانية لله -سبحانه وتعالى-، وكانت تتصف بالشجاعة والتضحية، وكان رسول الله -صلى الله عليه وآله- يذكرها على الدوام ويبيّن مكانتها، ووردت في شأنها روايات كثيرة منها: أنها إحدى أفضل سيدات أهل الجنة اللاتي اصطفاهنَّ الله -سبحانه وتعالى- على نساء العالمين وهُنَّ: آسيا بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة الكبرى وفاطمة الزهراء -عليهنَّ سلام الله-.

ولخديجة الكبرى مقام عالٍ عند الله -سبحانه وتعالى- وفي الملأ الأعلى، فقد وردت رواية بأن رسول الله -صلى الله عليه وآله- في ليلة المعراج وحينما رجع إلى عالم الأرض قال لجبريل: ما حاجتُك يا جبريل؟! فقال: أبلغ سلام الله وسلامي إلى خديجة، ولما أبلغ رسول الله -صلى الله عليه وآله- خديجة هذا البلاغ قالت خديجة: إنَّ الله هو السَّلام ومنه السَّلام وإليه السَّلام وعلى جبريل السَّلام.

تلك المرأة التي كانت من أجمل نساء قريش وأكثرهنَّ علماً والتي كانت تُلقَّب بملكة العرب، كما كانت خديجة الكبرى تُؤنس رسول الله -صلى الله عليه وآله- في وحشته وتواسيه وتخفف من آلامه كذلك كانت زينب الكبرى مع أخيها الحسين -عليهما السَّلام-، ولقد ضحّت خديجة الكبرى بكل أموالها في سبيل رفعة شأن الإسلام في مرافقتها لزوجها رسول الله -صلى الله عليه وآله-، كذلك زينب التي ضحّت في سبيل ثورة عاشوراء بكل ما تملك من رفاهيّة العيش مع زوجها ورافقت أخاها الحسين إلى كربلاء.

ولما بُعث رسول الله -صلى الله عليه وآله- دعا النَّاس إلى الإسلام، فهاجمه المشركون وشجّوا جبينه وأدموا ساقيه، ابتعد رسول الله -صلى الله عليه وآله- عن الأنظار واتَّكأ على موضع من جبل حراء أو جبل أبي قبيس يقال له المتكأ، فخرج علي وخديجة في طلبه، فجعلت تجول في وادي مكة تحمل له الماء والخبز وهي تقول: من أحسن لي النبي

المصطفى؟! من أحس لي الربيع المرتضى؟ وزينب الكبرى-عليها السلام- حينما وقع الحسين-عليه السلام- على الأرض وهو يجود بنفسه جالت في وادي كربلاء ولكن لم يكن هناك خبز ولا ماء، فوضعت يديها على رأسها ونادت بأعلى صوتها فكسّر دوي صوتها حاجز المكان والزمان وهي تقول: أما فيكم مسلم!! ولما وقع بصرها على عمر بن سعد صرخت في وجهه وقالت: أَيْقَتِل الحسين وأنت تنظر إليه.
وخلصة الحديث أن زينب الكبرى كانت شبيهة جدّتها خديجة الكبرى في جميع معاني الجمال الظاهرية، والعظمة المعنوية (١).

الهوامش:

(١) ينظر (زينب الكبرى بطلة الحرية)/أبو القاسم الديباجي/ ط١/ ١٤٢٣هـ-

٢٠٠٣م/ ص ١٩-٢٠.



”يا يزيد كِد كيدك
واسع سعيك
وناصب جُهدك
فوالله لا تمحو ذِكرنا“

ينب

الحوراء زينب

معارف زينبية

سليم عادل الحسناوي / كاتب

في

كل وقت نحن

بحاجة ماسة وملحة للتعرف على

سيرة الحوراء زينب فهي سيّدة الكمال بعد أمّها

فاطمة الزهراء -عليها السلام-، بكل تجلّياته العقائدية والروحية

والنفسية، حياتها تشعّ بكل معاني السمو والرقّي

والتهذيب.

فمن ينشد الجلال عليه أن يقتفي بآثارها النورانية وحكمتها الفذة، فحياتها عبارة عن مواقف وعبر ودروس نحتاجها في حياتنا العقائدية والتربوية والفكرية، فما من مشهد إلا وكان درساً عملياً نافعاً يستخلص لنا نظرية في مجال من مجالات الحياة، وهذه بعض الشذرات والمحطات الهامة في حياة الحوراء نقف عندها مع استخلاص العبر والدروس:

- أولاً: ظهور صفات المعصومين -عليهم السلام- في زينب -سلام الله عليها-
• لقد جسدت عقيلة الطالبين سائل أمها بكل جلالها وجمالها، ومثلت شخصية أبيها بكل تقواها وعلمها، وحملت صبر أخيها الحسن بكل إيمانها وعقيدتها، وتكاد تتطابق مع شخصية أخيها الحسين -عليه السلام- ..
• لقد وقفت حفيذة الرسول الأعظم -صلى الله عليه وآله-، ومفخرة الإسلام إلى جانب أخيها سيّد الشهداء حينما قام بأعظم ثورة عرفها التاريخ الإنساني، وقد شابهت بذلك جدّتها وأبائها وأمها حينما وقفوا إلى جانب جدّها الرسول الكريم -صلى الله عليه وآله- عندما أعلن دعوته الخالدة الهادفة إلى تحرير الفكر البشري من عوامل الانحطاط والتأخر، وإنارته بالعلوم والمعرفة ودفعه إلى إقامة مجتمع متوازن في سلوكه وإرادته.
- كان خطاب فخر المخدّرات في الشام، كخطاب سيّدة نساء العالمين في المسجد النبوي؛ في المثل والأهداف، والتعابير والنبرات، والشجاعة والحكمة، والإثارة والاستنهاض، كلها واحدة.. وزادت البنت على أمها أنّها كانت أسيرة مكبّلة، مفجوعة بأعزّ الناس .. ولكنها عادت فأسرت أسريها، وقيّدت مكبليها، وقهرت قائي أهلها بالكلمة الحق، وحسن التّوكل على الله، وكفى به وكيلا.

- لقد كانت هذه السيّدة العظيمة في سيرتها من أشبه الناس بأبيها الإمام أمير المؤمنين -عليه السلام-، فقد تبّنت جميع أهدافه ومخططاته ومواقفه التي منها نصرته

للإسلام في أيام محتته وغربته، وكذلك هذه السيِّدة العملاقة نصرت الإسلام حينما عاد غربياً في ظلّ الحكم الأموي الذي استهدف قلع جذور الإسلام ولفّ لوائه، وإعادة الحياة الجاهلية بأوثانها وأصنامها، ولكنها مع أخيها -سلام الله عليها- قد أفسدت مخططات الأمويين، وأعادت للإسلام نضارته ومجده.

ثانياً: إيمان لا تزعزعه النكبات

• إنَّ أبرز صفات زينب -عليه السلام- تصديقها بما جاء في كتاب الله الكريم ونبيه الرّسول الأمين -صلى الله عليه وآله-، وهكذا تحمّلت تلك المصائب العظيمة التي احتسبتها عند الله -تعالى-.

• لم يشهد التاريخ امرأة أعظم صبراً من زينب -سلام الله عليها-.. لقد ذُبح أبناؤها عون ومحمد، أمام عينيها فلم تجزع، ثم رأت مصرع أخيها الحسين واخوتها وأبناء إخوتها فصبرت وكانت مثلاً في رباطة الجأش، والحكمة في تدبير الأمور، وقيادة الموقف الصّعب.

إنّها كانت أسيرة ومكبّلة، وكانت قد انهكتها المصائب والمتاعب الرّوحية والجسدية، ولكنها كانت تقود المعارضة من موقع الأسر، كما تدبّر شؤون الأسارى له فيا له من صبر عظيم لا يمكن أن يناله بشر إلا بفضل الله وحسن التّوكل عليه.

ثالثاً: صاحبة المواقف

• تمثّلت البطولة العلوية بجميع صورها وألوانها عند حفيدة الرّسول وعقيلة بني هاشم السيِّدة زينب -سلام الله عليها-، فإنّها لما مثلت أمام سليل الأدعياء ابن مرجانة احتقرته واستهانته به، فاندفع الأثيم يظهر الشّامة بلسانه الألكن قائلاً: الحمد لله الذي فضحككم، وقتلكم، وكذب أحدوثكم...

فانبرت حفيدة الرّسول بشجاعة وصلابة قائلة: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِنَبِيِّهِ، وَطَهَّرَنَا مِنَ الرَّجْسِ تَطْهِيراً، إِنَّمَا يَفْتَضِحُ الْفَاسِقُ وَيَكْذِبُ الْفَاجِرُ، وَهُوَ غَيْرُنَا يَا بَنَ مَرْجَانَةَ...) (١).

لقد قالت هذا القول الصّارم الذي هو أمّض من السّلاح، وهي والمخدرات من آل محمّد في قيد الأسر، وقد رُفعت فوق رؤوسهنّ رؤوس حماتهنّ، وشهرت عليهنّ سيوف الملحدّين.

لقد أنزلت العقيلة - بهذه الكلمات - الطّاغية من عرشه إلى قبره، وعرفته أمام خدمه وعبيده أنّه المفتضح والمنهزم، وأنّ أخاها هو المتصرّ، ولم يجد ابن مرجانة كلاماً يقوله سوى التّشقيّ بقتل عترة رسول الله - صلّى الله عليه وآله-، قائلاً: "كيف رأيت صنع الله بأخيكَ؟".

وانطلقت عقيلة بني هاشم ببسالة وصمود، فأجابت بكلمات الظفر والنّصر لها ولأخيها قائلة:

(ما رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلاً، هُوَ لَاءَ قَوْمٌ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ، فَبَرَزُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ، وَسَيَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَتَحَاجُّ وَتُخَاصِمُ، فَانْظُرِي لِمَنِ الْفَلَجُ يَوْمَئِذٍ، تَكَلِّتُكَ أُمُّكَ يَا بِنَ مَرْجَانَةَ..)(٢).

أرأيتم هذا التّبكيّ الموجع؟ أرأيتم هذه الشّجاعة العلوية؟ فقد سجّلت حفيدة الرّسول - صلّى الله عليه وآله- بموقفها وكلماتها فخراً للإسلام وعزّاً للمسلمين ومجداً خالداً للأسرة النّبوية.

رابعاً: الإعلام لهادف

• كشفت السيّدة عن جوانب من مأساة السّبط الشّهيد في كلمات مختصرة ولكنّها ذات نبرة قوية.

• إنّ من ألع الأسباب في استمرار خلود مأساة الإمام الحسين - عليه السّلام- واستمرار فعاليتها في نشر الإصلاح الاجتماعي هو حمل عقيلة الوحي وبنات الرّسول الأكرم - صلّى الله عليه وآله- مع الإمام الحسين - عليه السّلام-، فقد قمن ببلورة الرّأي العام، ونشرن مبادئ الإمام الحسين وأسباب نهضته الكبرى، وقد قامت السيّدة زينب

- عليها السلام - بتدمير ما أحرزه يزيد من الانتصارات، وألحقت به الهزيمة والعار.
- لقد كان بكاء السيِّدة زينب ذات هدف رسالي، حيث أنه لم يكن بكاءً ذليلاً، ولا ندماً على ما مضى ولا جزءاً من المصائب، وإنَّها كان بكاءً تحدٍّ وإيقاظ. وهكذا كانت سائر أفعالها التي تبدو في صورة جزع وهلع. إنَّ ممارستها جميعها كانت هادفة.
- علم واسع، وحكمة بالغة، وخطاب فصل، وشجاعة ربَّانيَّة، وأدب نافذ، وتعبير فصيح، كل ذلك يشكل عناصر بلاغة الصَّديقة زينب.
- كانت زينب الشَّاهدة على نهضة السَّبَط الشَّهيد؛ لأنَّها حملت رسالتها الى الآفاق؛ ولأنَّ النهضة في الأساس كانت تهدف إلى بعث زلزال في الضَّائِر. فإنَّ دم الشَّهداء كان سيذهب سدى من دون دور الشَّاهدة العظيمة زينب، ودور الشَّاهدين الآخرين معها.

- لقد مضت الصَّديقة زينب الى ربِّها بعد أن زرعت بذور المعارضة، فلم تمرَّ إلا بضع سنوات حتى اخضرت واينعت فاذا بانتفاضة عارمة للطغيان تنزل عروشهم.
- خامساً: بَشِّر الصَّابِرِينَ

- إنَّ أيَّ واحدة من رزايا الصَّديقة الصَّغرى زينب - عليها السلام - لو ابتلي بها أيَّ إنسان مهما تذرَّع بالصَّبر وقوة النَّفس لأوهنت قواه، واستسلم للضعف النَّفسي، وما تمكَّن على مقاومة الأحداث، ولكنَّها - سلام الله عليها - قد صمدت أمام ذلك البلاء العارم، وقاومت الأحداث بنفس آمنة مطمئنَّة راضية بقضاء الله - تعالى - وصابرة على بلائه، فكانت من أبرز المعنَّين بقوله تعالى: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ) (٣).
- ما من صفة كريمة أو نزعة شريفة يفتخر بها الإنسان، ويسمو بها على غيره من الكائنات الحيَّة إلا وهي من عناصر عقيلة بني هاشم، وسيِّدة النِّساء بعد أمها الزَّهراء - عليها السلام - زينب - عليها السلام -، فقد تحلَّت بجميع الفضائل التي وهبها الله -

تعالى - لجدّها الرّسول الأعظم - صلّى الله عليه وآله-، وأبيها الإمام أمير المؤمنين -عليه السلام-، وأمّها سيدة نساء العالمين -عليها السلام-، وأخويها الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنة وريحانتي رسول الله -صلّى الله عليه وآله-، فقد ورثت خصائصهم، وحكت مميزاتهم، وشابهتهم في سموّ ذاتهم ومكارم أخلاقهم.

الهوامش:

- ١- بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي (١١١١هـ)/ الناشر مؤسسة الوفاء، بيروت لبنان/ ج ٤٥/ ص ١١٥.
- ٢- محمد باقر المجلسي/ المصدر السابق/ ج ٤٥/ ص ١١٦.
- ٣- سورة البقرة/ الآيات: ١٥٥-١٥٦-١٥٧.

زَيْلِب





السيدة زينب

السيدة زينب عليها السلام جهاد وتضحية

أحمد عبود الكريطي / صحفي

إنّها

الثّورة الحسينية التي

تأبى الغروب تعود مرّة أخرى

بكل أبعادها وحشياتها، وها هي زمرة ابن زياد

اجتمعت وتحشّدت مرّة أخرى لسبي الحوراء- عليها السّلام-

وعياها، تريد أن تُطفئ نور هذه الثّورة الخالدة

بأفواهاها؛

ولكن هيهات أن يزول نور الحق وتنمحي ملامحه، فزينب تلك المرأة التي هزّت عروش الظالمين، وحطّمت جبروتهم لا ترحل ولا تسبى، بل تبقى شامخة تعاند الدهر بصبرها، وصمودها، وتضحياتها تردُّ كلَّ موجات الكفر والإلحاد، وموقف هذه السيِّدة العظيمة في كربلاء وما عانته من ألم وظلم وسبي أكسبها الخلود وصيرّها رمزاً للتّحدّي. ليس عجباً أن ترى مرقدها يُهدّد اليوم من قبل أحفاد بني أمية، بل العجيب كيف أنّ زينب-عليها السلام- لا تزال تفضح أعداءها، وتعيد ذات الموقف يوم وقفت بكلّ عزّة أمام طاغية عصرها يزيد في قصره، وهي تذللّ بكلماتها الخالدات، نعم هي مدرسة، وهي رمز ينبغي أن نستلهم منها الدّروس ونتعلّم منها العبر، نتعلّم منها القوّة والصّلافة في مواجهة الصّعاب والمصائب، ونتعلّم منها العقّة والحياء والحجاب الذي نربّي عليه بناتنا؛ لأنّ زينب-عليها السلام- ليست سيرة تأريخ لمرأة عظيمة أدّت دورها وانتهت، ولكنّها مشروعٌ لتربية المبادئ والمثل التي يجب أن ننشئ عليه أبناءنا وأسرنا لننتج بذلك المجتمع السّليم النّاجح الذي نبحت عنه.

ومن هذه الدّروس والعبر:

الدّرس الأوّل: إنّنا في الحقيقة غافلون عن جانب مهم من جوانب حياة هذه السيِّدة العظيمة ألا وهو جانب العطاء العلمي، الجانب التّثقيفي والعلمي والتّعليمي. عن المرحوم الطّبرسي أنّ السيِّدة زينب -عليها السلام- روت عن أمّها الزّهراء-عليها السلام- روايات كثيرة، وروت عن أمّ سلمة-رضوان الله عليها- زوجة الرسول الأعظم-صلى الله عليه وآله- وروت أيضاً عن أمّ أيمن-رضوان الله عليها-، كما روت أيضاً عن عمّتها أم هاني بنت أبي طالب، وعن أسماء بن عميس- رضوان الله عليهما-، وروت وروت إلى ما شاء الله-سبحانه-، وروى عنها الإمام السّجاد-عليه السلام- وروى أيضاً عنها الشّهيد زيد بن علي بن الحسين-عليهما السلام-، وروت عنها فاطمة بنت الحسين-عليهما السلام- وروى عن السيِّدة زينب كذلك زوجها عبدالله

بن جعفر-عليهما السلام- فالحوراء-عليها السلام- هي مدرسة للعطاء، ومدرسة للرواية والحديث، وشَتَّى العلوم التي تورث السَّعادة في الحياة الدُّنيا والآخرة، إضافة الى الكثيرين الذين رووا عنها مثل عبدالله بن عباس حبر الأمة الذي كان كثيراً ما يرجع للسيدة زينب -عليها السلام- عندما كان تستعصي عليه مسألة، وقد روى عنها كوكبة من الأخبار كما صرَّح المؤرخون، وكان يعبّر عنها بـ(حدثتنا عقيلتنا) زينب بنت علي-عليهما السلام-.

لذلك أصبح الاقتداء بهذه السيِّدة الجليلة، وبحياتها المليئة بالثقافة والعلم والمعرفة أمراً ملحاً ومهماً للغاية، فحياتها معين لا ينضب بعلوم أهل البيت-عليهم السلام-.

فمن هي العقيلة التي حازت كل هذه المكانة الرَّفِيعَة؟.

العقيلة هي تلك المرأة الكريمة عند قومها، العزيزة عند أهلها، هي المرأة الحكيمة التي يرجع إليها عند الشَّدائد، هكذا يجب أن نربِّي بناتنا، وزوجاتنا على أساس هذه المدرسة الفاضلة العظيمة التي كان لها الأثر الكبير في كافَّة المجالات (الفقهية، رواية الحديث، التفسير، وغيرها من العلوم الإسلامية)، علينا أن نركز شخصية السيِّدة زينب في نفوس بناتنا كي يتأسَّين بها، ويجعلن منها مثلاً يسار على نهجها، والقصص والأحداث في هذا المجال كثيرة، حتى أنها -صلوات الله عليها- بلغت من المرتبة أنَّ الإمام الحسين -عليه السلام- كما يقول الشيخ الصدوق -رحمه الله- اعتبر لها النيابة الخاصة، فإنَّ السيِّدة زينب -عليها السلام- في فترة مرض الإمام السَّجاد -عليه السلام- كان لها مرتبة النيابة الخاصة، حتى أنَّ الإمام زين العابدين -عليه السلام- كان يستشيرها ويجهر بذلك، وعندما سأله يزيد هل عندك حاجة؟ قال: أريد استشارة عمَّتِي زينب -عليها السلام-، وهذا دليل واضح على عظم المكانة وجلالة القدر.

الدَّرْس الثَّانِي: زهد السيِّدة زينب -عليها السلام-، فبالرغم من ثراء زوجها، وما كان يمتلكه من أموال إلا أنَّ السيِّدة زينب كانت تعيش حياة الزَّهد فهي لا تمتلك

سوى حصيرة مصنوعة من سعف التّخيل تنام عليها وتأكل عليها؛ لأنّ قيمة الدّنيا عند سيدتنا الصّديقة الصّغرى -عليها السلام- ليست سوى جسر حياة أخرى، على الإنسان أن يجتازه بنجاح، وما هذا التّكالب والتّباغض والتّحاسد إلا من مرض حبّ الدّنيا، فبيتها -عليها السلام- لا يحوي إلا هذا الحصر وجلد شاة، وملابسها التي كانت من وبر الإبل وهي من أقلّ الملابس سعراً، ولكنها سلية ذاك الإمام الذي كان يتخذ التّراب وسادة له، ومن خبز الشعير طعاماً له، فزينب -عليها السلام- لا تغرّها الدّنيا بزخرفها وبهرجها، وكانت -عليها السلام- تقوم بكل أعمال البيت وحدها، تطحن الشعير بيدها، ومن المعروف أنّ طحن الشعير مرهق ومتعب جدّاً، ولكنها أبت إلا أن تكون خير أسوة، وخير قدوة.

قال عنها الإمام السّجاد -عليه السلام- كلمة عظيمة، وهذا هو نصّ العبارة: "أنّها -عليها السلام- ما أدّخرت شيئاً من يومها إلى غدها أبداً". عبارة جداً جميلة ما أدّخرت أبداً في حين نحن نفكر في المستقبل، ونخطط، ونكدّس الأموال، ونأخذ الأملاك، ولكنها رغم ثراء زوجها ما كانت تفكر في ذلك، وكل ما كانت تملكه تنفقه مباشرة في سبيل الله -سبحانه- على الفقراء والمحتاجين؛ لأنّ ما عند الإنسان ينفد، وما عند الله باق.

ويذكر التاريخ عندما وضعت زينب -عليها السلام- هي وأهل بيتها ومن معها من الأطفال في إحدى خرائب الكوفة وكان يعطونهم قرصاً واحداً من الخبز فقط، تصوّر كيف للإنسان أن يعيش برغيف خبز واحد ليوم كامل، ومع هذا فإنّ السيدة زينب -عليها السلام- كانت تأثر على نفسها أن تأكل حصّتها من الخبز، وتعطيها بدلاً من ذلك الى الأطفال وبقية العيال كي يسدّوا رمقهم من الجوع، وقد أضرّ هذا الجوع الشّديد بالسّيّدة زينب كثيراً، واضعفها حتى أنّها كانت تصليّ من جلوس.

هذه هي مدرسة السّيّدة زينب -عليها السلام- مدرسة التّقوى، مدرسة العلم،

مدرسة الزهد، ومدرسة الصّمود والتّحدّي والعزّة والإباء، لقد كانت قمة في العزة، كما أنّها قمة في الإباء، والشموخ، والعظمة، وقد نقل الرواة أنّ السيّدة زينب-عليها السلام- طول فترة المسير من كربلاء الى الشّام هذه الرّحلة البعيدة والشّاقة، وعلى الرّغم من ثقل القيود والأغلال إلّا أنّها لم تطلب من الجلاوزة الذين كانوا يسرون مع الموكب أي شيء، ولا حتى طلباً واحداً. هذا هو ديدن بيت النّبي-صلى الله عليه وآله- الذين جُبلوا على الفضائل النبيلة.

هذه لمحّة عن صبر، وتضحية، وفداء عقيلة الطّالبيين التي غدّت سيرتها مناراً لكل ذي بصيرة وطالب حرية، إنّها بحق بطلة الطّف، وصانعة الانتصار مع أخيها الإمام الحسين-عليه السلام- في معركة الطّف الخالدة، ولذي ستبقى زينب عنوان تحدّ متصلاً الى أمد الدّهر، وسير حل، وينكسر كل يزيد يريد مواجعتها.





الحسين بن علي

العقيلة زينب (عليها السلام) روايات ومواقف

الشيخ عقيل البصري / خطيب حسيني

حياة عقيلة الطالبين بحر

زخار بالروايات والمواقف البطولية، وعندما

يريد الباحث أن يكتب عن الحوراء زينب -عليها السلام- فعليه أن

يتأمل في جانبين:

الجانب الأول: سيرتها الذاتية وكلامها وخطبها -عليها السلام-.

الجانب الثاني: أحاديث المعصومين -عليهم السلام- في

علو مقامها، وكيفية التعامل مع

شخصيتها.

النبي - صلى الله عليه وآله - يسمي زينب - عليها السلام -
أطلت السيدة زينب - عليها السلام - على الدنيا في الخامس من شهر جمادى الآخرة
في السنة الخامسة للهجرة في بيت أذن الله أن يُرفع ويُذكر فيه اسمه.
ولما ولدت زينب - عليها السلام - استبشر بها أبوها الإمام علي - عليه السلام -
وأخذها من أمها السيدة فاطمة الزهراء - عليها السلام - وقالت سمّ هذه المولودة،
فقال: ما كنت لأسبق أبيك رسول الله - صلى الله عليه وآله -، وكان في سفر له.
ولما جاء النبي - صلى الله عليه وآله - واحتضنها وسأل الإمام علي - عليه السلام - عن
اسمها، فقال: ما كنت لأسبقك يا رسول الله، فقال - صلى الله عليه وآله -: ما كنت
لأسبق ربّي - تعالى -، فهبط الأمين جبرئيل يقرأ على النبي السلام من الله الجليل العلام،
وقال له: سمّ هذه المولودة زينب، فقد اختار الله - سبحانه - لها هذا الاسم (١).
وأجرى الإمام أمير المؤمنين - عليه السلام - على وليدته المراسيم الشرعية؛ فأذن في
أذنها اليمنى، وأقام في اليسرى.

لقد كان أول صوت قرع سمعها هو: الله أكبر، لا إله إلا الله وهذه الكلمات أنشودة
الأنبياء، وجوهر القيم العظيمة في الأكوان.
وانطبعت هذه الأنشودة في أعماق قلب حفيدة الرسول فصارت عنصراً من عناصرها،
ومقوماً من مقوماتها.

أم المصائب

تسمى العقيلة زينب - سلام الله عليها - "أم المصائب"، وحق لها أن تسمى بذلك،
فقد شاهدت مصيبة جدّها رسول الله - صلى الله عليه وآله -، ومحنة أمها فاطمة الزهراء
- سلام الله عليها -، وشاهدت مقتل أبيها الإمام علي بن أبي طالب - سلام الله عليه -،
ثم شاهدت محنة أخيها الحسن - سلام الله عليه - ثم قتله بالسّم، وشاهدت أيضاً
المصيبة العظمى، وهي قتل أخيها الحسين - عليه السلام - وأهل بيته، وقتل أولادها

عَوْنٌ ومُحَمَّدٌ مع خالهما أُمَامَ عَيْنِهَا، وَحُمِلَتْ أُسِيرَةً مِنْ كَرْبَلَاءَ إِلَى الْكُوفَةِ، وَأُدْخِلَتْ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ فِي مَجْلِسِ الرِّجَالِ، وَقَابَلَهَا بِإِظْهَارِ الشَّهَادَةِ الْمُؤَلَّةِ. وَحُمِلَتْ أُسِيرَةً مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى ابْنِ أَكَلَةَ الْأَكْبَادِ بِالشَّامِ، وَرَأْسُ أَخِيهَا وَرُؤُوسُ وَلَدَيْهَا وَأَهْلُ بَيْتِهَا أَمَامَهَا عَلَى رُؤُوسِ الرَّمَاكِ طَوْلَ الطَّرِيقِ، حَتَّى دَخَلُوا دِمَشْقَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ، وَأُدْخِلُوا عَلَى يَزِيدٍ فِي مَجْلِسِ الرِّجَالِ وَهُمْ مُقَرَّنُونَ بِالْحَبَالِ (٢).

احترام الإمام الحسين -عليه السلام- لأخته زينب -عليها السلام-
نُقِلَ عَنِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ -عليه السلام- أَنَّهُ كَانَ إِذَا زَارَتْهُ زَيْنَبُ -عليها السلام-، يَقُومُ إِجْلَالًا لَهَا، وَكَانَ يُجْلِسُهَا فِي مَكَانِهِ (٣).

السيدة زينب -عليها السلام- مفسرة القرآن
ذَكَرَ أَهْلُ السِّيَرِ أَنَّ الْعَقِيلَةَ زَيْنَبَ -عليها السلام- كَانَتْ لَهَا مَجَالِسٌ فِي بَيْتِهَا فِي الْكُوفَةِ أَيَّامَ خِلَافَةِ أَبِيهَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ -عليه السلام-، وَكَانَتْ تَفْسِّرُ الْقُرْآنَ لِلنِّسَاءِ.

السيدة زينب -عليها السلام- المحدثّة العالمّة
رَوَى أَنَّ الْعَقِيلَةَ زَيْنَبَ -عليها السلام- خَطَبَتْ فِي الْكُوفَةِ خُطْبَتَهَا الْغَرَاءَ فَتَرَكْتَ أَهْلَ الْكُوفَةِ يَمُوجُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، قَدْ رَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ، حَيَارَى يَبْكُونَ وَقَدْ تَمَثَّلَ لَهُمْ هَوْلُ الْجَنَائَةِ الَّتِي اقْتَرَفُوهَا، قَالَ الْإِمَامُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ -عليه السلام- لِعَمَّتِهِ زَيْنَبَ -عليها السلام-: "أَنْتِ بِحَمْدِ اللَّهِ عَالِمَةٌ غَيْرُ مُعَلِّمَةٍ، فَهَمَّةٌ غَيْرُ مُفْهَمَةٍ" (٤).

وقال الشيخ المامقاني في (تنقيح المقال) في معرض حديثه في السيدة زينب -عليها السلام-: زينب، وما زينب! وما أدراك ما زينب! هي عقيلة بني هاشم، وقد حازت من الصفات الحميدة ما لم يجزها بعد أمها أحد، حتى حق أن يقال: هي الصديقة الصغرى، هي في الحجاب والعفاف فريدة، لم ير شخصها أحد من الرجال في زمان أبيها وأخويها إلى يوم الطف، وهي في الصبر والثبات وقوة الإيمان والتقوى وحيدة، وهي في الفصاحة والبلاغة كأنها تُفرغ عن لسان أمير المؤمنين -عليه السلام- كما لا يخفى على من أنعم

النظر في خطبتها. ولو قلنا بعصمتها لم يكن لأحد أن ينكر إن كان عارفاً بأحوالها في الطف وما بعده. كيف ولولا ذلك لما حملها الحسين -عليه السلام- مقداراً من ثقل الإمامة أيام مرض السَّجَّاد -عليه السلام-، وما أوصى إليها بجملة من وصاياه، ولما أنابها السَّجَّاد -عليه السلام- نيابةً خاصّة في بيان الأحكام وجملة أخرى من آثار الولاية (٥).

العقيلة تُحدِّث بعهد رسول الله -صلى الله عليه وآله-

للسيدة زينب -عليه السلام- مواقف عديدة في الذبّ عن الإمام زين العابدين -عليه السلام- بعد استشهاد أبيه سيّد الشهداء الحسين -عليه السلام-، تُصبره، وتحافظ عليه من القتل وتنفديه بنفسها تارة أخرى. وقد نقل لنا التاريخ من ضمن مواقفها أنها شاهدت حزن الإمام زين العابدين -عليه السلام- الشديد على أبيه الحسين -عليه السلام-، فقالت له: مالي أراك تجود بنفسك يا بقیة جدّي وأبي وإخوتي؟

فقال -عليه السلام-: وكيف لا أجزع وأهلّع وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومي ووُلد عمّي مُصرّعين بدمائهم مُرمّلين بالعراء مُسلّين لا يُكفّنون ولا يُوارون ولا يُعرج عليهم أحد، ولا يُقرّبهم بشرّ، كأنّهم أهل بيت من الدّيلم والخزّر؟!

فقالت -عليها السلام-: لا يُجزعُكَ ما ترى، فوالله إنّهُ لعهدٌ من رسول الله -صلى الله عليه وآله- إلى جدّك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمّة لا تعرّفهم فرأعنة هذه الأمّة، وهم معروفون في أهل السماوات، أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة، وينصبون بهذا الطّف علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء لا يُدرّس أثره، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأعوام، وليجهدنّ أئمة الكفر وأشياغ الضلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد إلاّ ظهوراً، وأمره إلاّ علواً (٦).

إخبار أمير المؤمنين -عليه السلام- ابنته العقيلة بواقعة الطفّ:

روى الشيخ المجلسي عن السيّدة زينب -عليها السلام- في حديث طويل أنها قالت:

لَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مُلْجَمَ لَعْنَهُ اللَّهُ أَبِي - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وَرَأَيْتُ أَثَرَ الْمَوْتِ مِنْهُ، قُلْتُ لَهُ: يَا أَبَه، حَدَّثْتَنِي أُمُّ أَيْمَنَ بِكَذَا وَكَذَا، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمِعَهُ مِنْكَ.

فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ، الْحَدِيثُ كَمَا حَدَّثْتِكِ أُمُّ أَيْمَنَ، وَكَأَنِّي بِكِ وَبِبَنَاتِ أَهْلِكَ سَبَايَا هَذَا الْبَلَدِ أَذْلَاءَ خَاشِعِينَ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ، فَصَبْرًا صَبْرًا! فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا لِلَّهِ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ وَلِيٌّ غَيْرُكُمْ وَغَيْرَ مُحِبِّكُمْ وَشَيْعَتُكُمْ، وَلَقَدْ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - حِينَ أَخْبَرَنَا بِهَذَا الْخَبَرِ: إِنَّ إِبْلِيسَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَطِيرُ فَرَحًا فَيَجُولُ الْأَرْضَ كُلَّهَا فِي شَيَاطِينِهِ وَعَفَارِيتهِ فيقول: يَا مَعْشَرَ الشَّيَاطِينِ، قَدْ أَدْرَكْنَا مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ الطَّلَبَةَ، وَبَلَّغْنَا فِي هَلَاقِهِمُ الْغَايَةَ، وَأَوْرَثْنَاهُمُ النَّارَ إِلَّا مَنْ اعْتَصَمَ بِهِذِهِ الْعَصَابَةِ، فَاجْعَلُوا شُغْلَكُمْ بِتَشْكِيكِ النَّاسِ فِيهِمْ، وَحَمْلِهِمْ عَلَى عِدَاوَتِهِمْ، وَإِغْرَائِهِمْ بِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ، حَتَّى تَسْتَحْكَمَ ضَلَالَةُ الْخَلْقِ وَكُفْرُهُمْ، وَلَا يَنْجُو مِنْهُمْ نَاجٍ، وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ وَهُوَ كَذُوبٌ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ مَعَ عِدَاوَتِكُمْ عَمَلٌ صَالِحٌ، وَلَا يَضُرُّ مَعَ مُحِبَّتِكُمْ وَمَوَالَاتِكُمْ ذَنْبٌ غَيْرُ الْكِبَائِرِ (٧).

السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - تَنْقُلُ خُطْبَةَ أُمِّهَا الزَّهْرَاءِ - عَلَيْهَا السَّلَامُ -
قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْإِصْفَهَانِيُّ: وَالْعَقِيلَةُ هِيَ الَّتِي رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْهَا كَلَامَ فَاطِمَةَ
- عَلَيْهَا السَّلَامُ - فِي فَدْكَ، فَقَالَ: حَدَّثْتَنِي عَقِيلَتُنَا زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - (٨).
السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - تَرْوِي قِصَّةَ وَلَادَةِ أَخِيهَا الْحُسَيْنِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -

رَوَى الْخَزَّازُ الْقَمِّيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، عَنْ عَمَّتِهِ زَيْنَبِ
بِنْتِ عَلِيٍّ - عَلَيْهَا السَّلَامُ -، عَنْ فَاطِمَةَ - عَلَيْهَا السَّلَامُ -، قَالَتْ: دَخَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - عِنْدَ وَلَادَةِ ابْنِي الْحُسَيْنِ، فَنَاولَتْهُ إِيَّاهُ فِي خِرْقَةٍ صَفْرَاءَ، فَرَمَى بِهَا
وَأَخَذَ خِرْقَةً بَيْضَاءَ فَلَفَّهَ (بِهَا)، ثُمَّ قَالَ: خُذِيهِ يَا فَاطِمَةُ، فَإِنَّهُ الْإِمَامُ وَأَبُو الْأَثَمَةِ؛ تِسْعَةٌ
مِنْ صُلْبِهِ أُمَّةٌ أَبْرَارٌ، وَالتَّاسِعُ قَائِمُهُمْ (٩).



العقيلة تروي عبادة أمها الزهراء - عليها السلام -

وروي عن عبدالله بن الحسن، عن أمه فاطمة الصغرى، عن أبيها الحسين - عليه السلام - وعمتها زينب بنت أمير المؤمنين - عليه السلام -، أن فاطمة - عليها السلام - قامت في محرابها في جمعتها، فلم تزل راکعةً ساجدةً حتّى اتّضح عمود الصّبح، وكانت تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتُسمّيهم وتُكثرُ الدّعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقال لها الحسين - عليه السلام -: ألا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟
فقلت: الجار ثم الدّار (١٠).

العقيلة زينب - عليها السلام - المتهجّدة العابدة

أشبهت عقيلة بني هاشم - عليها السلام - أمها سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء - عليها السلام - في عبادتها، فكانت تقضي ليلها بالصّلاة والتّهجّد، ولم تترك نوافلها حتّى في أحلك الظروف وأصعبها، فقد روي عن الإمام زين العابدين - عليه السلام - أنّه قال إنّ عمّته زينب ما تركت نوافلها الليلية مع تلك المصائب والمحن النّازلة بها في طريقهم إلى الشّام (١١).

لم تقعد بها تلك المصائب الرّاتبة التي تهدّ الجبال عن أن تهجّد وتُناجي ربّها الكريم. ونُقل عن ريحانة رسول الله - صلى الله عليه وآله -، الإمام الحسين - عليه السلام -، أنّه لما ودّع أخته زينب - عليها السلام - وداعه الأخير قال لها: يا أختاه، لا تنسيني في نافلة الليل (١٢).

وروي الجواهري في (مثير الأحران) عن فاطمة بنت الإمام الحسين - عليه السلام - أنّها قالت: ... وأما عمّتي زينب فإنّها لم تزل قائمةً في تلك الليلة - أي ليلة العاشر من المحرم - في محرابها تستغيث إلى ربّها، فما هدأت لنا عين ولا سكنت لنا رنة (١٣).

وروي عن الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين - عليه السلام - أنّه قال: إنّ عمّتي زينب كانت تؤدّي صلواتها من قيام ... عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشّام، وفي

بعض المنازل كانت تصلي من جلوس، فسألتها عن سبب ذلك، فقالت: أصلي من جلوس لشدة الجوع والضعف منذ ثلاث ليالٍ؛ لأنها كانت تُقسّم ما يُصيّبها من الطعام على الأطفال؛ لأنّ القوم كانوا يدفعون لكل واحد منّا رغيفاً واحداً من الخبز في اليوم والليلة (١٤).

وفي هذه الأخبار دلالة لا أوضح منها على أنّ السيّدة زينب -عليها السّلام- كانت من القانتات اللاتي وقفن حركاتهنّ وسكناتهنّ وأنفاسهنّ للباري -تعالى-، فحصلن بذلك على المنازل الرّفيعة والدّرجات العالية التي حكّت برفعتها منازل المرسلين ودرجات الأوصياء -عليهم الصلاة والسلام-.

العقيلة زينب -عليها السّلام- وصيّة الإمام الحسين -عليه السّلام-
ومن الشّرف الذي لا يلحقه شرفٌ أنّ الإمام الحسين -عليه السّلام- ائتمن أخته العقيلة -عليها السّلام- على أسرار الإمامة.
وروي أنّه كانت لزينب -عليها السّلام- نيابة خاصّة عن الحسين -عليه السّلام-، وكان النّاس يرجعون إليها في الحلال والحرام، حتّى برئ زين العابدين -عليه السّلام- من مرضه (١٥).

السيّدة زينب -عليها السّلام- المدافعة عن حريم الولاية

أ. مع أمير المؤمنين -عليه السّلام-:

دافعت عقيلة الهاشميين -عليها السّلام- عن حريم الولاية، ووقفت إلى صفّ إمام زمانها -عليه السّلام- تدافع عنه وتجاهد في الذّبّ عنه.

ب. مع الحسين الشهيد -عليه السّلام-:

أمّا دفاعها عن أخيها وإمامها الحسين الشهيد -عليه السّلام-، فقد رافقته إلى كربلاء، ووقفت إلى جانبه خلال تلك الشّدائد التي يشيّب لها الولدان، وقدمت ابنها (عونا ومحمّداً) شهيدَيْن في طفّ كربلاء، ولم يُنقل عنها -عليها السّلام- أنّها ندبت ابنها

بكلمةٍ ولا ذرّفت لفقدهما دمعة، فقد كان هُمّها الشّاعِلُ مواساةَ أخيها الحسين -عليه السلام- بكلِّ وجودها.

ج. مع الإمام زين العابدين عليه السلام:

تولّت عقيلة بني هاشم -عليها السلام- تمريضَ الإمام زين العابدين -عليه السلام- ورعايتهَ والمحافظةَ عليه في كربلاء والكوفة والشّام. وكان من المواقف التي خلّدها لها التاريخ في دفاعها عن إمام زمانها: الإمام زين العابدين -عليه السلام- بعد شهادة أبي عبد الله الحسين -عليه السلام-، موقفٌ في مجلس ابن زياد في الكوفة، فقد خاطبها ابن زياد فقال: الحمد لله الذي فضحككم وأكذب أحدوثكم! فقالت: إنّها يفتضحُ الفاسقُ ويكذبُ الفاجرُ، وهو غيرنا.

فقال ابن زياد: كيف رأيتِ صنْعَ الله بأخيك وأهل بيتك؟
فقالت: ما رأيتُ إلّا جميلاً. هؤلاء قومٌ كتبَ اللهُ عليهم القتلَ فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمعُ اللهُ بينك وبينهم فتُحاجُّ وتُخاصَمُ، فانظُرْ لِمَن الفلجُ يومئذٍ ثكلتك أمك يا ابنَ مَرَجانة!

ثم التفتَ ابنُ زيادٍ إلى عليّ بن الحسين فقال: مَن هذا؟

فقبل: عليّ بن الحسين.

فقال: أليس قد قَتَلَ اللهُ عليّ بن الحسين؟!

فقال عليّ: قد كان لي أخ يُسمّى عليّ بن الحسين قَتَلَهُ النَّاسُ.

فقال ابن زياد: بل اللهُ قَتَلَهُ!

فقال عليّ -عليه السلام-: اللهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حينَ مَوْتِها والتي لَمْ تُمِتْ في مَنامِها.

فقال ابنُ زياد: ولكِ جرأةٌ على جوابي؟! اذهَبوا به فاضربوا عُنُقَهُ!

فسمِعَتِ عَمَّتُهُ زَيْنَبُ ذلك فقالت: يا ابنَ زياد، إنَّكَ لَمْ تُبْقِ مِنّا أحداً، فإن عَرَمْتَ على

قتله فاقْتُلني معه (١٦).

وقد خطبت عقيلة بني هاشم -عليها السلام- خطبتين في الكوفة وفي الشام، أبانت
بهما حقيقة النهضة الحسينية، وفضحت مكر بني أمية ومحاولتهم تصوير الإمام الحسين
-عليه السلام- بأنه خارجي خرج على خليفة زمانه، فكانت كلمات العقيلة -عليها
السلام- استمراراً لنهضة أخيها الشهيد -عليه السلام-، وكان ثباتها وصمودها
وصبرها السور الحصين الذي صان مُعطيات الثورة الحسينية المباركة، والترجمان
الصادق الذي نقل للأجيال تفاصيل تلك النهضة الظافرة.

فسلام الله عليك يا عقيلة الهاشميين يوم وُلدت، ويوم التحق بالرفيق الأعلى، ويوم
تبعثين حياة فيوقك الله -تبارك وتعالى- جزاءك بالكأس الأوفى مع جدك المصطفى،
وأبيك المرتضى، وأمك الزهراء، وأخيك الحسن المجتبي، وأخيك الشهيد بكر بلاء.

الهوامش:

- ١ - زينب الكبرى للشيخ جعفر النقدي ١٨.
- ٢ - أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ١٣٧:٧.
- ٣ - "خاتون دوسرا" ١٤٢.
- ٤ - بحار الأنوار للمجلسي ١٦٤:٤٥؛ سفينة البحار للمحدث القمي ٤٩٦:٣.
- ٥ - تنقيح المقال للمامقاني ٧٩:٣ - فصل النساء.
- ٦ - بحار الأنوار ٥٧:٢٨، و ١٧٩:٤٥ - ١٨٠.
- ٧ - بحار الأنوار للمجلسي ١٨٣:٤٥.
- ٨ - مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصفهاني ٦٠.
- ٩ - كفاية الأثر للخزّاز ٢٦؛ بحار الأنوار ٣٦:٣٥٠ - ٣٥١.
- ١٠ - زينب الكبرى للشيخ جعفر النقدي ٤٠.
- ١١ - زينب الكبرى للشيخ جعفر النقدي ٦٢.

١٢ - زينب الكبرى ٦٢.

١٣ - مثير الأحزان للجواهري؛ وعنه: زينب الكبرى للنقدي ٦٢؛ رياحين الشريعة للمحلاتي ٦٢:٣.

١٤ - زينب الكبرى ٦٢ - ٦٣.

١٥ - زينب الكبرى ٣٥.

١٦ - بحار الأنوار ٤٥: ١١٦ - ١١٧.

رسالة





الحسين بن علي

عبقات من سيرة الحوراء

السيد عصام الخرسان / خطيب حسيني

أبوها

أمير المؤمنين - عليه

السلام -، وسيد الوصيين، وإمام

المتقين، وقائد الغر المحجلين إلى جنّات النعيم أبو

الحسن والحسين، عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن

عبد مناف بن قصي، وابن عمّ الرسول الكريم - صلى الله عليه وآله - وصنوه،

الذي ربّاه صغيراً، وعلمّه شابّاً علم ما كان وما يكون، ونصّبه من بعده علماً

لأُمّته، وأبان فضائله التي لا تُحصى، ومناقبه التي لا تُستقصى،

ومعين علمه الذي لا ينضب، وأطواد حلمه

الذي لا ينزع

فهو أعلم الناس بعد الرسول الكريم -صلى الله عليه وآله- وأحلمهم، وأجودهم، وأكرمهم، وأزهدهم، وأشجعهم، وأعبدهم، وأوفاهم، وأورعهم، وأفضاهم، -صلوات الله عليه-.

وأما أمها -عليها السلام-:

فهي بضعة المصطفى، الطاهرة الزكية، سيّدة نساء العالمين، الصديقة الكبرى، فاطمة الزهراء، بنت الرسول الأعظم الخاتم لما سبق، والفتاح لما استقبل، الحوراء الإنسية، التي زوجها الله -سبحانه وتعالى- في السماء.

ولادتها:

ولدت الميمونة الطاهرة زينب الكبرى -عليها السلام- في الخامس من شهر جمادى الأول، من السنة الخامسة للهجرة.

ويقال لها زينب الكبرى، للفرق بينها وبين من سمّيت باسمها من أخواتها وأقرانها، وكنّيت بكنيتها.

كما تلقّب بالصديقة الصّغرى، للفرق بينها وبين أمها الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء -عليها السلام-.

وتلقّب بالعقيلة، وعقيلة بني هاشم، وعقيلة الطّالبيين (١)، والموثقة، والعارفة، والعالمة غير المعلّمة، والفاضلة الكاملة، والعبادة الزّاهدة، وغير ذلك من الصفات الحميدة والسجايا الكريمة والنّعوت الحسنة.

وهي أوّل بنت ولدت للسيّدة فاطمة الزهراء -عليها السلام-.

أشقّاؤها:

أشقّاؤها من أمها وأبيها الإمامين الحسن والحسين -عليهما السلام-، ومن بعدهم السيّدة أمّ كلثوم، وهي أكبر من أختها، وآخرهم الشهيد السقط محسن. كما لها عدّة إخوة وأخوات من أمّهات شتى.

شرفها ومجدها - عليها السلام -:

الشرف في النسب: اتّصاله بعظيم من العظماء، وأشرفهم الذريّة الطاهرة من آل الرسول - صلى الله عليه وآله -.

والمجد يطلق على الشرف الباذخ، ويطلق على الكرم والعزّ والجاه.

فإذا سمعت هذا فاستمع لما يوحى إليك، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله -: كلّ بني أمّ يتّهمون إلى عصبته، إلّا ولد فاطمة فإنّي أنا أبوهم وعصبته (٢).

وهذا الشرف الحاصل للسيدة زينب - عليها السلام - شرف لا مزيد عليه، فإذا ضمّنا إلى ذلك أنّ أباهما علي المرتضى، وأمّها فاطمة الزهراء وجدّتها خديجة الكبرى، وعمّها جعفر الطيّار في الجنّة، وعمّتها أمّ هانئ، وأخوها سيّد شباب أهل الجنّة، وأخوالها وخالاتها أبناء رسول الله - صلى الله عليه وآله -، فإذا يكون بعد هذا الشرف، وإلى أين ينتهي شأنه ويبلغ مداه.

وإذا ضمّنا إلى ذلك أيضاً علمها وفضلها وتقواها، وكمالها، وزهدها، وورعها، وعبادتها، وعمق معرفتها بالله تعالى، كان لشرفها شرفاً خاصّاً بها، وبأمثالها من أهل بيتها، ومجدها مجداً مؤثّلاً لا يليق إلّا بها وبهم صلوات الله عليهم.

ومما زاد في شرفها أنّ أهل الكساء الخمسة - عليهم السلام - كانوا يحبّونها حبّاً جمّاً. وحدث يحيى المازني قال: جاورت أمير المؤمنين عليّ - عليه السلام - في المدينة المنورة مدّة مديدة وبالقرب من البيت الذي تسكنه السيّدّة زينب ابنته، فلا والله ما رأيت لها شخصاً، ولا سمعت لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدّها - صلى الله عليه وآله - تخرج ليلاً، الحسن عن يمينها والحسين عن شمالها، وأمير المؤمنين - عليه السلام - أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف، سبقها أمير المؤمنين - عليه السلام - فأخذ ضوء القناديل، فسأله الإمام الحسن - عليه السلام - مرّة عن ذلك، فقال: أخشى أن ينظر أحدٌ إلى شخص أختك زينب.



تزويجها:

إنَّ العقيلة زينب بنت علي -عليهما السَّلام- خَطَبها الأشراف من قريش والرؤساء من القبائل ولكن أمير المؤمنين -عليه السَّلام- كان بوَدّه أن يزوّج بناته من أبناء أخيه؛ اقتداءً بقول النبي -صَلَّى الله عليه وآله- عندما نظر ذات يوم إلى أولاد علي وجعفر أقال: ((بناتنا لبنيناً وبنونا لبناتنا)). فأعطى علي -عليه السَّلام- رقية لابن أخيه مسلم بن عقيل وأزوّج السيِّدة زينب -عليها السَّلام- من ابن أخيه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب -عليه السَّلام- على صداق أمّها سيِّدة النِّساء فاطمة -عليها السَّلام- على أربعمئة وثمانين درهماً، ووهب المهر علي -عليه السَّلام- إِيّاه من خالص ماله .

زوجها:

عبد الله بن جعفر هو أوّل مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة ونشأ وترعرع في حجر عمّه أمير المؤمنين (عليه السَّلام) إلى أن زوّجه ابنته زينب الكبرى. وكان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب -عليه السَّلام- جواداً كريماً تتغنّى بذكره الركبان، وكان يكتنّى بأبي محمّد، وأبي جعفر .

أبوه جعفر الطيّار بالجنّة مع الملائكة وهو قتيّل مؤتة. وأمّه أسماء بنت عميس الخثعمية، وهي أخت ميمونة بنت الحرث أمّ المؤمنين. وكان عبد الله بن جعفر ممن صحب النبي -صَلَّى الله عليه وآله- وحفظ عنه أحاديث كثيرة ثمّ إنّ عبد الله لازم عمّه أمير المؤمنين وولديه الحسين -عليهم السَّلام- وأخذ منهم العلم الكثير.

وروي أنّ عبد الله بن جعفر كان كريماً جواداً ظريفاً خليفاً عفيفاً سخياً يسمّى بحر الجود.

وفاته:

توفي عبد الله بن جعفر بالمدينة المنورة سنة ثمانين ودفن بالبقيع .

أولاده وأولادها:

المشهور عند أرباب التاريخ أنّ لعبدالله بن جعفر من الحوراء زينب أولاد أربعة؛ عون الأكبر، ومحمداً وعلياً وأمّ كلثوم .

أما محمد وأخوه عون ابنا عبد الله بن جعفر الطيّار فقد خرجا مع خالهما الحسين -عليه السلام- وأمّهما زينب الكبرى إلى العراق وقد أوصاهما أبوهما بخالهما وأن لا يفارقه . فأقبلا في ركب الحسين -عليه السلام- إلى الطفّأ وجاهدا بين يديه يوم عاشوراء وقُتلا وأمّهما زينب تنظر إليهما .

ودُفنا مع شهداء الطالبين في حفرة واحدة عند رجلي الحسين -عليه السلام- . وربما يتوهم بعض الناس أنّ المرقد الذي بالقرب من كربلاء هو مرقد عون بن عبد الله أو يزعم بعضهم أنّه مرقد عون بن علي بن أبي طالب -عليه السلام- وأمّهم فاطمة بنت حزام الكلابية أحد إخوة العباس الثلاثة، وكلا القولين اشتباه، وإنّما هو قبر عون بن عبد الله بن جعفر بن مرعي بن علي بن الحسن البنفسج بن إدريس بن داوود بن أحمد المسور بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب -عليه السلام- كان في الحائر المقدس الحسيني وكانت له ضيعة على ثلاثة فراسخ عن بلد كربلاء، فخرج إليها وأدركه الموت فدُفن في ضيعته، فكان له مزار مشهور وقبة عالية والناس يقصدونه بالتّدور وقضاء الحاجات ... إلخ . واليوم صار مرقده على الطريق العام الطريق المعبد، يقع على الجانب الأيسر لمن يقصد كربلاء المقدسة للقادم من قضاء المسيب، ويبعد عن كربلاء خمسة أميال .

وذكر المؤرّخون أنّه لما ورد نعي الحسين -عليه السلام- ونعيهما إلى المدينة كان عبد الله بن جعفر جالساً في بيته، والناس يدخلون عليه يعزّونه، فقال غلامه أبو اللّسلاس: هذا ما لقيناه ودخل علينا من الحسين -عليه السلام- !

فحذفه عبد الله بنعله، وقال له: يا بن اللّخناء! أ للحسين تقول هذا؟! والله لو شهدته لما فارقتّه حتّى أقتل معه . والله إنّّه لمّا يسخى بالنّفس عنهما ويهون عليّ المصاب بهما أنّهما

أُصِيبَا مع أخي وابن عمي، مواسين له صابرين معه .
ثم أقبل على جلسائه، وقال: الحمد لله أعزز عليّ بمصرع الحسين أن لا أكن آسيت
حسيناً بيدي فقد آسيته بولدي محمد وعون .
علمها ومعرفتها بالله تعالى:

العلم من أفضل السجايَا الإنسانية، وأشرف الصفات البشرية، به أكمل الله أنبياءه
المرسلين، ورفع درجات عباده المخلصين، قال تعالى: (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (٣)، وقرن أهل العلم بنفسه وبملائكته في آية أخرى،
فقال جلّ شأنه: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ) (٤)،
وقال تعالى: (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (٥).

أما زينب المترية في مدينة العلم النبوي، المعتكفة بعده بابها العلوي، المتغذية بلبانه
من أمها الصديقة الطاهرة -سلام الله عليها-، وقد طوت عمراً من الدهر مع الإمامين
السبطين.

زهدها وعبادتها:

الزهد في الشيء خلاف الرغبة فيه، وزهد الإنسان في الشيء أي: تركه، فهو زاهد.
قال الصدوق -رحمه الله- في معاني الأخبار: الزاهد من يحب ما يحب خالقه، ويبغض
ما يبغضه خالقه، ويتحرّج من حلال الدنيا، ولا يلتفت إلى حرامها.

أما زينب -عليها السلام- فقد كانت في بيت زوجها عبد الله بن جعفر الجواد،
وهو من علمت في ثروته ويساره، وكثرة أمواله وخدمه وحشمه يوم ذاك، وكانت
تخدمها العبيد والإماء والأحرار، ويطوف حول بيتها الهلاك من ذوي الحوائج وطالبي
الاستجداء، وكان بيتها الرفيع وحرمها المنيع لا يضاهيه في العزّ والشرف وبعد الصيت
إلا بيوت الخلفاء والملوك.

فتركت ذلك كله لوجه الله، وانقطعت عن علائق الدنيا بأسرها في سبيل الله،

وأعرضت عن زهرة الحياة من المال والبيت والزَّوج والولد والخدم والحشم، وصحبت أخاها الحسين -عليه السلام- ناصرةً لدين الله، وباذلةً للنفس والنَّفيس لإمامها ابن بنت رسول الله -صلى الله عليه وآله-، مع علمها بجميع ما يجري عليها من المصائب والتَّوائب، كما سمعته في حديث أم أيمن، مؤثرةً الآخرة على الدُّنيا، والآخرة خير وأبقى. ومن زهدا: ما روي عن السَّجَّاد -عليه السلام- من أنَّها -صلوات الله عليها- ما ادَّخرت شيئاً من يومها لغداً أبداً.

عبادتها وانقطاعها إلى الله تعالى:

العبادة من العبودية وهي: غاية الخضوع والتذلل، ولذلك كانت لله تعالى ولا تحسن لغيره، لأنَّه جلَّ وعلا وليّ كلّ نعمة، وغاية كلّ رغبة، وأكثر النَّاس عبادة هو أعرفهم بالله عزَّ وجلَّ، كالأنبياء والأئمة -صلوات الله عليهم-.

وكان رسول الله -صلى الله عليه وآله- يصليّ الليل كلّهُ، ولقد قام -صلى الله عليه وآله- عشر سنين على أطراف أصابعه حتَّى تورَّمت قدماه واصفرَّ وجهه، فأنزل الله عليه: ﴿طه﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٦)، فقال -صلى الله عليه وآله-: أَوْ لَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا.

وكان أمير المؤمنين -عليه السلام- يصليّ كلّ يوم وليلة ألف ركعة، ولم يترك النَّافلة حتَّى في الحروب، كما روي عنه ذلك في صلواته ليلة الهريز بصفين.

وكذلك كانت الصَّديقة الكبرى فاطمة الزهراء -صلوات الله عليها- تصليّ عامّة الليل، فإذا اتَّضح عمود الصَّبح أخذت تدعو للمؤمنين والمؤمنات.

وكان الأئمة من ولدها -صلوات الله عليها- يُضرب بهم المثل في العبادة.

أمَّا زينب -صلوات الله عليها- فلقد كانت في عبادتها ثانية أمِّها الزهراء -عليها السلام-، وكانت تقضي عامّة لياليها بالتهجّد وتلاوة القرآن.

قال بعض ذوي الفضل: إنَّها -صلوات الله عليها- ما تركت تهجّدها لله تعالى طول

دهرها، حتى ليلة الحادي عشر من المحرم.

وروي عن زين العابدين -عليه السلام- أنه قال: رأيته تلك الليلة تصلي من جلوس. وروي بعض المتبعين عن الإمام زين العابدين -عليه السلام- أنه قال: إن عمّتي زينب كانت تؤدّي صلواتها من قيام الفرائض والنوافل عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام، وفي بعض المنازل كانت تصلي من جلوس، فسألته عن سبب ذلك فقالت: أصلي من جلوس لشدة الجوع والضعف منذ ثلاث ليال، لأنها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الأطفال، لأن القوم كانوا يدفعون لكل واحد منا رغيفاً واحداً من الخبز في اليوم واليلة.

بعض الأخبار المروية عنها -عليها السلام-:

أشهر ما روي عنها من الأخبار خطبة والدتها الزهراء -عليها السلام- التي احتجّت بها في خصوص فذك.

صبرها وتحملها المشاق وتسليمها لأمر الله:

الصبر الممدوح: حبس النفس على تحمل المشاق تسليماً لأمر الله تعالى، كحبسها عن الجزع والهلوع عند المصاب وفقد الأحبة، وحبسها عن الشهوات نزولاً على حكم الشريعة، وحبسها على مشقة الطاعة نزلاً إلى المبدأ الأعلى.

وقد مدح الله تعالى الصابرين في كتابه الكريم، فقال عز وجل: (وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (٧)، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ هُمُ عُقَبَى الدَّارِ) (٨)، وقال تعالى: (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (٩)، والآيات كثيرة في الصبر، والأحاديث أكثر.

ولما كان الصبر بهذه المثابة عند الله كان الأقربون إلى الله أكثر صبراً من غيرهم، كالأنبياء

وأوصيائهم، ثم الأمثل فالأمثل.

وهذه العقيلة الطاهرة قد رأت من المصائب والتّوائب ما لو نزلت على الجبال الرّاسيات لساخت واندكت جوانبها، لكنّها في كلّ ذلك كانت تصبر الصبر الجميل كما هو معلوم لكلّ من درس حياتها.

وأول مصيبة دهمتها هو فقدّها جدّها النّبيّ -صلى الله عليه وآله-، وما لاقى أهلها بعده من المكاره.

ثمّ فقدّها أمّها الكريمة بنت رسول الله -صلى الله عليه وآله-، بعد مرض شديد، وكدر من العيش، والاعتكاف في بيت الأحزان.

ثمّ رأت شهادة أبيها أمير المؤمنين عليّ -عليه السلام- بفلق رأسه من ضربة ابن ملجم لعنه الله.

ثمّ فقدّها لأخيها المجتبي مسموماً، تنظر إليه وهو يتقيّأ كبده في الطست قطعةً قطعة، وبعد موته ترشق جنازته بالسّهام.

ثمّ رؤيتها لأخيها الحسين -عليه السلام- تتقاذف به البلاد، حتّى نزل كربلاء، وهناك دهمتها الكوارث العظام من قتله -عليه السلام-، وقتل بقيّة إخوتها وأولادهم وأولاد عمومتهما وخواصّ الأئمة من شيعة أبيها عطاشى.

ثمّ المحن التي لاقتها من هجوم أعداء الله على رحلها، وما فعلوه من سلبٍ وسبي ونهبٍ وإهانةٍ وضربٍ لكرائم النّبوة وودائع الرّسالة، وتكفّلها حال النّساء والأطفال في ذلّة الأسر، ثمّ سيرها معهم من بلد إلى بلد، ومن منزل إلى منزل، ومن مجلس إلى مجلس، وغير ذلك من الرّزايا التي يعجز عنها البيان ويكلّ اللسان.

وهي مع ذلك كلّها صابرة محتسبة، ومفوّضة أمرها إلى الله تعالى، قائمة بوظائف شاقّة، من مداراة العيال، ومراقبة الصّغار واليتامى من أولاد إخوتها وأهل بيتها، رابطة الجأش بإيمانها الثّابت وعقيدتها الرّاسخة، حتّى كانت تسليّ إمام زمانها زين العابدين -عليه

السلام-، حتّى أنها لما وقفت على جسد أخيها الحسين -عليه السلام- مقطّعاً أمام جيش الأعداء رفعت يديها إلى السماء وقالت: اللهمّ تقبّل منّا هذا القربان، بكلّ صبر حتّى لا يشمت بها الأعداء.

ويكفي في علوّ مقام هذه الدّرة المكنونة والجوهرة المصونة في الصّبر وعظيم درجتها في التّسليم لأمر الله والرّضى بقضائه ما نقله في الطراز المذهب: أنّها -سلام الله عليها- لما وقفت على جسد أخيها الحسين -عليه السلام- قالت: اللهمّ تقبّل منّا هذا القليل من القربان.

قال: فقاربت أمّها في الكرامات، والصّبر في النّائبات، بحيث خرقت العادات، ولحقت بالمعجزات.

وهذه الكلمات من هذه الحرّة الطّاهرة، في تلك الوقفة التي رأت بها أخاها العزيز بتلك الحالة المفجعة التي كان فيها، تكشف لنا قوّة إيمانها، ورسوخ عقيدتها، وفنائها في جنب الله تعالى، وغير ذلك ممّا لا يخفى على المتأمّل.

إلى جنّة المأوى:

ولم تمكث العقيلة -عليها السّلام- بعد كارثة كربلاء إلّا زمناً قليلاً حتّى تناهبت الأمراض جسمها، ولازمت الفراش وهي تعاني آلام المرض، وما هو أشقّ منه وهو ما جرى عليها من الرزايا، وكانت ماثلة أمامها حتّى السّاعات الأخيرة من حياتها.

وقد وافقتها المنيّة ولسانها يلهج بذكر الله وتلاوة كتابه، وقد سعدت روحها الطّاهرة إلى السّماء كأسمى روح سعدت إلى الله، تحفّها ملائكة الرّحمان وتستقبلها أنبياء الله، وهي ترفع إلى الله شكواها وما لاقته من المحن والخطوب التي لم تجرِ على أيّ إنسان منذ خلق الله الأرض .

الزمان:

انتقلت العقيلة -عليه السّلام- إلى جوار الله تعالى على أرجح الأقوال يوم الأحد

لخمسة عشر مضين من شهر رجب الأصب سنة (٦٢هـ)، وقد آن لقلبها الذي مزّته الكوارث أن يسكن أجسمها المعذب أن يستريح. (١٠).

الهوامش:

- ١- ومعنى العقيلة هي المرأة الكريمة على قومها، والعزيزة عندهم، والسيدة زينب -عليها السلام- فوق ذلك .
- ٢- أورد النبهاني في الشرف المؤيد، الصفحة ٥١، وقال الصباني في إسعاف الراغبين: هذه الخصوصية لأولاد فاطمة -عليها السلام- .
- ٣- سورة المجادلة/ الآية: ١١ .
- ٤- سورة آل عمران/ الآية: ١٨ .
- ٥- سورة الزمر/ الآية: ٩ .
- ٦- سورة طه/ الآية: ١-٢ .
- ٧- سورة الحج/ الآية: ٣٤-٣٥ .
- ٨- سورة الرعد/ الآية: ٢٢ .
- ٩- سورة البقرة/ الآية: ١٧٧ .
- ١٠- لمزيد من المعلومات تراجع المصادر الآتية:
أ- عقيلة بني هاشم -عليها السلام- / علي الهاشمي الخطيب/ انتشارات المكتبة الحيدريّة/ سنة الطبع: ١٣٧٧هـ/ الطبعة: الأولى / المطبعة: أمير- قم.
ب- السيدة زينب -عليها السلام- / رائدة الجهاد في الإسلام/ عرض وتحليل / تأليف: باقر شريف القرشي / الطبعة الأولى / ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.



يَا أَيُّهَا الْفَضِيلُ الْعَبْدُ

يَا حُسَيْنَ



الحسين بن علي

عالمة غير معلمة

السيد ضياء الحسيني / باحث اسلامي

الحمد لله رب

العالمين، والصلاة والسلام على أشرف

الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى أهل بيته الطيبين

الطاهرين، ولا سيما بقية الله في أرضه الإمام المهدي المنتظر - أرواحنا

لتراب مقدمه الفداء -، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من

الأولين والآخرين.

روي عن الإمام أبي جعفر - عليه السلام - أنه قال: "حديثنا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ أَجْرُهُ ذِكْرَانُ وَعِرٌّ شَرِيفٌ كَرِيمٌ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ مِنْهُ شَيْئاً وَلَانَتْ لَهُ قُلُوبُكُمْ فَاحْتَمِلُوهُ وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ تَحْتَمِلُوهُ وَلَمْ تُطِيقُوهُ، فَإِنَّمَا فَرَدُّوهُ إِلَى الْإِمَامِ الْعَالِمِ مِنَّا آلِ مُحَمَّدٍ فَإِنَّمَا الشَّقِيُّ الْهَالِكُ الَّذِي يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ هَذَا، ثُمَّ قَالَ: يَا جَابِرُ إِنَّ الْإِنْكَارَ هُوَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ" (١).

يرسم هذا الحديث الشريف قانوناً في كيفية التعامل مع أحاديث أهل البيت - عليهم السلام -، ويردّ على كثير من الأصوات الدّاعية إلى ردّ بعض أحاديث أهل البيت - عليهم السلام - فنحن أمام مشكلتين عامتين في هذه الأزمنة، إما أن تجد تعامللاً سطحياً مع أحاديث أهل البيت وإفراغها عن كل عمق وبعد غيبي، وتفسيرها تفسيراً ظاهرياً والجزم بأنّ هذا هو المراد، وإما أن تجد ردّاً لأحاديثهم، وهذا الحديث الشريف يرّد على الطريقتين فلا يجوز التعامل مع تلك الأحاديث كأنّها كلام عادي، ومن ناحية أخرى لا يجوز ردّها ما لا نفهمه.

وهذا البحث يسلّط الضّوء على حديث من أحاديث أئمتنا الواردة في حق سيدتنا ومولاتنا الصديقة بنت الإمام أمير المؤمنين زينب الكبرى - عليها السلام -، وهو الحديث الوارد عن الإمام علي بن الحسين السّجاد - عليهما السلام - "أَنْتِ بِحَمْدِ اللَّهِ عَالِمَةٌ غَيْرُ مُعَلِّمَةٍ، وَفَهِيَةٌ غَيْرُ مُفَهِّمَةٍ" (٢)

وقبل معرفة المقصود من العلم في صدر الحديث لا بُدّ من مقدّمة فنقول:

إنّ العلم - بلحاظ أسبابه - ينقسم على قسمين:

أ. العلم الاكتسابي أو الحسولي، وهو العلم الذي تحصل عليه النّفس عن طريق الإحساس، والتجربة، أو المتوقف على تعلّم كما قال تعالى: (وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) (٣).

ب. العلم اللدني: وهو العلم الذي يُفاض على النّفس من قبل الله سبحانه وتعالى،

وقد يُعبّر عنه في بعض الكلمات بالعلم الإفاضي.
ولا ريب في أنّ القسم الثاني من القسمين أجلُّ وأنبَلُ من القسم الأوّل، إذ إنّ الأوّل قابل للتشكيك، بخلاف الثاني، فإنّه يَأبى ذلك؛ لكونه عين اليقين.

إذا عرفتَ هذه المقدّمة تعرف أنّ العلم المذكور في صدر الرواية الشريفة، يُراد به القسم الثاني من القسمين، إذ هو العلم الذي لا يحتاج إلى تعلّم، وإنّما يُفاض على صفحات الرّوح مباشرة من قبل الله تبارك وتعالى، وهو المنسجم مع قول الإمام: "عالمه غير معلّمه" ونحن وإن كُنّا نعاني من قلة الشّواهد التاريخية، للتدليل على آفاق العلم اللدنيّ عند عقيلة بني هاشم -أرواحنا فداها- إلا أنّ بعض ما نقله التّاريخ يكفيها لإثبات ذلك، ونكتفي منه بذكر شاهد واحد: وهو ما ذكره بعض المؤرخين: من أنّها حال صباها، كانت جالسة يوماً في حجر أبيها، وكان أمير المؤمنين -عليه السلام- يضع الكلام ويلقيه على لسانها، فقال لها: بُنَيّة قولي: واحد، فقالت: واحد، فقال لها: قولي: اثنين، فقالت: أبته، ما أقول اثنين بلسان أجريته بالواحد، فلم يتمالك أمير المؤمنين نفسه، حتى أحنى عليها وقبّلها".

وهذا الشاهد رغم كونه من الشّواهد القليلة جداً في هذا الجانب، إلا أنّه كاشف عن مدى سعة آفاق العلم الإفاضي عند الصّدّيقة؛ لأنّها قد أشارت إلى مطلب كلامي وفلسفي دقيق، وهو أنّ التّوحيد الذاتيّ ليس من قبيل الوحدة العددية، وإنّما هو من قبيل الوحدة الحقيقية، وتوضيح ذلك:

كونه تبارك وتعالى واحداً في ذاته، لا شريك له، وهذا ما يعبر عنه في اصطلاحات الحكماء بالتّوحيد الواحدي.

والتّوحيد بهذا المعنى مما لا يرتاب فيه موحّد، إلا أنّ الذي قد يغيب عن أذهان كثير من الموحدين، هو أنّ الوحدة المرتبطة بهذا القسم من أقسام التّوحيد ليست هي الوحدة العددية، إذ الوحدة العددية - أي : الوحدة في باب الأعداد - هي ما تقبل التّشّي

والتكرّر، فكل واحد عددي من الممكن أن يكون له ثانٍ وثالث ورابع وهكذا، وليست وحدة الله - تعالى - من هذا القبيل؛ لأنّ ذاته المقدّسة لا تقبل تكرراً ولا تشيئاً.

ولذا قد ورد في الروايات ما يشير إلى هذه الحقيقة كثيراً، فورد عن أمير المؤمنين - عليه السلام - : "واحد بلا عدد"، وقوله: "الواحد بلا تأويل".

ومثل هذه الروايات كثير جداً، وكلها تؤكّد على أنّ وحدة الذات المقدسة ليست من سنخ الوحدة العددية، ولذا يعبرون عنها في الاصطلاح بالوحدة الحقّة أو الصرفة أو الحقيقية.

وإلى هذه الحقيقة الشريفة قد أشارت السيّدة الحوراء عندما قالت في كلامها "ما أقول اثنين بلسان أجريته بالواحد".

ولا يخفى أنّ هذه الإشارة الحكيمة الدقيقة لا يعقل صدورها من صبيّة ذات سنتين أو ثلاث، إلا أن يكون علمها المخزون علماً إفاضياً.

وبعد معرفة سنخ العلم المذكور في الرواية الشريفة، وأنّه أشرف أنواع العلم، نُعرّج على بيان الوجه الذي من أجله ركّز الإمام زين العابدين على صفة العلم دون غيرها من الصفات التي تحلّت بها ذات الصديقة، رغم أنّها كانت مجمعةً للكمالات والصفّات الجلالية والجمالية.

ولعل الوجه في التركيز على ذلك، يعود إلى كون صفة العلم هي المنشأ لأغلب الصفات الكمالية، وبالتالي فإذا أثبتّها الإمام بذلك قد أثبتّ بقيّة الصفّات الملازمة أيضاً، وللتدليل على ما ذكرناه سوف أكتفي بعرض بعض الصفّات والكمالات الملازمة بحسب الوجود لصفة العلم:

١ - الصّفة الأولى: العصمة.

إذ يرى جمع من العلماء: "أنّ العصمة عند الإمامية هي أن يبلغ الإمام أو النّبي حدّاً من العلم واليقين، بحيث لا تنقذ في نفسه إرادة المعصية، مع كونه قادراً عليها".

وعلى ضوء ذلك، فإنَّ أوَّل صفة تثبت للسَّيِّدة الحوراء الصديقة بعد ثبوت صفة العلم الإفاضي لها، هي صفة العصمة، وقد اعترف بذلك غير واحد من أعلام الطائفة المحقة. ويعبّر عنها بـ (العصمة الصغرى) في قبال (العصمة الكبرى) الثَّابِتة للمعصومين الأربعة عشر - صلوات الله عليهم -.

٢- الصفة الثانية: ولاية التَّكوين.

وابتداءً لا بُدَّ من إيضاح المقصود من ولاية التَّكوين، فنقول القدرة على التَّصرف في الأمور الكونية، إيجاداً وإعداماً، على خلاف القوانين الطَّبيعية، بتفويض من الله - سبحانه وتعالى - في وقت التَّحدي وغيره من الأوقات، والنَّقطة المرتبطة بالمقام الذي نحن فيه، هي بيان المنشأ الذي بواسطته تصبح للإنسان سيطرة وولاية على التَّكوين، وليس هو إلا العلم الإفاضي، ونكتفي في المقام بذكر بعض الشَّواهد الدَّالة على ذلك:

أ. الشَّاهد الأوَّل: قوله - تبارك وتعالى -: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (٤).

الآية الشَّريفة قد تحدَّثت عن قدرة وصي نبي الله سليمان - على نبينا وآله وعليه أفضل التَّحية والسلام - التَّكوينية، والظاهر من هذه الآية الشَّريفة أنَّ العلم هو علة القدرة على التَّصرّف في الأمور الكونية إيجاداً وإعداماً.

ب. الشَّاهد الثَّاني: ما ورد عن الإمام الهادي - عليه السلام -: "اسمُ الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، كان عند آصف حرف فتكلم به، فانخرقت له الأرض في ما بينه وبين سبأ، فتناول عرش بلقيس حتى صيرَه إلى سليمان، ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفة عين، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب" (٥). وهذه الرواية ما هي إلا نموذج واحد لعشرات الروايات التي تتحدَّث عن حقيقة الاسم الأعظم، وهي ذات دلالة واضحة على أنَّ تفاوت قدرة الأنبياء وأوصيائهم

التكوينية، إنها هو بسبب تفاوت مستوى علمهم وإحاطتهم بالاسم الأعظم، مما يؤكد كون العلم الإفاضي هو منشأ ولاية التكوين عند أصحابها. وعلى ضوء هذين الشاهدين وأمثالهما: فإن الصفة الثانية التي تثبت للصديقة الحوراء بثبوت صفة العلم الإفاضي لها، هي صفة (الولاية التكوينية) والقدرة على التصرف في عالم التكوين.

ولعل سبر التاريخ لا يعدمك بعض الشواهد الدالة على إعمال السيدة الصديقة القدرة في حياتها، ومن ذلك ما نقله المؤرخون عنها حينما أرادت أن تخطب خطبتها الشريفة في الكوفة، فقد وصفها حذيم الأسدي بقوله: "لم أرَ والله خفرة قط أنطق منها، كأنها تنطق وتفرغ عن لسان علي، وقد أشارت إلى الناس بأن انصتوا، فارتدت الأنفاس، وسكنت الأجراس" (٦)

وهذا النص يكاد أن يكون صريحاً جداً في تصرّفها التكويني في الأنفاس والأجراس والأيدي بمجرّد الإيحاء والإشارة.

وإنّ الكرامات المستفيضة -بل المتواترة- الصادرة عن مرقدتها المبارك، لشاهد آخر أيضاً على امتداد قدرتها وولايتها التكوينية حتى لمرحلة ما بعد الموت، وليس ينكر ذلك إلا مكابر.

٣- الصفة الثالثة: الرضا والتسليم.

وابتداءً لا بدّ من إثارة نقطتين:

أ. النقطة الأولى: أن مقام الرضا هو مقام الصديقين، فقد ورد في الحديث القدسي الشريف: "عبدني المؤمن، لا أصرفه في شيء إلا جعلته خيراً له، فليرض بقضائي، وليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، أكتبه يا محمد من الصديقين عندي" (٧)

ب. النقطة الثانية: أن المقصود من صفة الرضا: ترك الاعتراض والسخط ظاهراً وباطناً، قولاً وفعلاً، وصاحب الرضا يستوي عنده الفقر والغنى، والراحة والعناء،

والبقاء والفناء، والعز والذل، والصّحة والمرض، والموت والحياة، ولا يرجح بعضها على بعض، ولا يثقل شيء منها على طبعه، إذ يرى صدور الكل من الله - سبحانه -، وقد رسخ حبه في قلبه، حتى إنّه يحب أفعاله ويرجح مراده - تعالى - على مراده، فيرضى لكل ما يكون ويرد.

إذا علمتَ بهاتين النقطتين، فلنعطف الكلام لبيان منشأ وصول العبد إلى هذا المقام الشّامخ، وتحلّيه بهذه الصّفة الجمالية، وخلاصة ما يمكن قوله: إنّ هذا المقام ما هو إلا ثمرة من ثمرات العلم واليقين، فقد وردَ عن الإمام الصادق: "إنّ أعلم النّاس بالله أرضاهم بقضاء الله" (٨)

ومن خلال هذه الرواية الأخيرة - التي تكشف عن وجود علاقة طردية بين مستوى العلم ومستوى الرضا - يتأكد لدينا أنّ العلم كلما كان أشدّ وأقوى - كمّاً وكيفاً - كانت صفة الرّضا أوكد وأعمق.

وعليه: فإنّ قول الإمام زين العابدين - عليه السلام -: "عالمه غير معلّمة" يدلّ بمقتضى التّلازم الوجودي بين الصفتين على ثبوت صفة الرّضا لعقيلة الهاشميين - أرواحنا فداها -، وكونها قد بلغت مقام الصّديقين.

بل إنّ المتتبع لمواقفها الشريفة يدرك أنّها - بمقتضى علمها اللّذي - قد بلغت أعلى درجات اليقين، والتي أوجبت رقيّها إلى أعلى مقام الصّديقين، ويكفيك من ذلك موقفها عندما بسطت يديها تحت الجسد المقدّس لأخيها سيد الشّهداء الحسين - عليه السلام - ثم رفعتة نحو السّماء وقالت: "اللهمّ تقبّل منّا"، حيث عبّرت بهذا المقطع من كلامها عن بلوغها أعلى مراتب الرّضا والتّسليم، والسّموّ الروحي بتقديم سادة الخلق قرايين بين يدي الله - تعالى.

ويزداد موقفها شموخاً وتألقاً، عندما سأها ابن زياد - عليه لعائن الله - قائلاً: "كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟"



فأجابته -روحي فداها- بلسان الرضا والتسليم قائلة: "ما رأيتُ إلا جميلاً".
ولستُ أتذكر أنني قرأتُ تعبيراً عن الرضا والتسليم أروع وأدلَّ من هذا التعبير،
فرغم فداحة الخطب، وفظاعة المأساة، وقسوة القتل إلا أنها لا ترى ذلك إلا بعين
الجمال، وأعتقد أنَّ هذا هو منتهى ما يمكن أن يرتقي إليه كمال الممكن في مقام الرضا
والتسليم.

ومن خلال الإحاطة بمجموع ما ذكرناه يتضح لدينا الوجه في تركيز الإمام زين
العابدين -عليه السلام- على إثبات صفة العلم الإفاضي دون غيرها من الصفات، فإنها
إذا ثبتت لأحد من الأولياء اقتضى ذلك أيضاً ثبوت غيرها من الصفات الكمالية الملازمة
لها وجوداً، فعوضاً عن أن يقوم الإمام بعرض جميع تلك الصفات، اكتفى بعرض صفة
واحدة، وأثبت بإثباتها غيرها من الصفات، وهذا هو مقتضى كون كلامهم دون كلام
الخالق وفوق كلام المخلوق.

الهوامش:

- ١- بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي (١١١١هـ)/ الناشر مؤسسة الوفاء، بيروت
لبنان/ ج ٢/ ص ١٩٢.
- ٢- محمد باقر المجلسي/ المصدر السابق/ ج ٤٥/ ص ١٦٤.
- ٣- سورة النجم/ الآية: ٣٩.
- ٤- سورة النمل/ الآية: ٤٠.
- ٥- محمد باقر المجلسي/ المصدر السابق/ ج ٢٧/ ص ٢٦.
- ٦- المصدر نفسه/ ج ٤٥/ ص ١٠٨.
- ٧- المصدر نفسه/ ج ٦٩/ ص ٣٣٠.
- ٨- المصدر نفسه/ ج ٦٨/ ص ١٥٨.

الحمد لله



زکریا کی

صدی الحوراء / رجب الأصب ۱۴۳۵ھ

الحِصْنُ الذِّبِّيُّ

فصاحة وبلاغة وشجاعة الحوراء الأدبية

السيد محمد كاظم / باحث اسلامي

الفصاحة لغة: هي
الظهور والبيان، تقول: أفصح
الصّبح: إذا ظهر، وأفصح عما في نفسه: إذا
أظهره. والكلام الفصيح ما كان واضح المعنى، سهل
اللفظ.
وبلاغة هي: الوصول والانتهاء، يقال: كلام
بليغ، وإنسان بليغ.

والكلام البليغ هو موافقته لمقتضى حال المخاطب لكي يفهم مراد المتكلم وأذعن له مع فصاحة مفرداته وجمله ولا يذعن له إلا إذا كان حسناً. فيشترط في بلاغة الكلام كون مفرداته وجمله فصيحتان وكونه مطابقاً لحال المخاطب، فلا يسمّى الكلام بليغاً إلا إذا وصل معناه الى المخاطب أو قرب من الوصول والحسن، وهذا معنى كونه فصيحاً مفرداً وجمله.

ويجمعهما حسن الكلام.

قال أبو هلال العسكري، صاحب المصنّفات الأدبية: إنّما يحسن الكلام بسلاسته، وسهولته، وتخيره لفظه، وإصابته معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه، واستواء تقاسيمه، وتعادل أطرافه، وتشبّه إعجازه بهواده، وموافقة مآخره لمبادئه، فتجد المنظوم مثل المنثور، في سهولة مطالعه، وجودة مقطعه، وحسن رصفه وتأليفه، وكمال صوغه وتركيبه، ومتى جمع الكلام بين العذوبة والجزالة، والسهولة والرّصانة، والرونق والطلاوة، وسلم من حيف التأليف.

وهذا ينطبق كلّ الانطباق على كلام سيّد الفصحاء، وإمام البلغاء، أمير المؤمنين - عليه السلام -، الذي قيل فيه: كلامه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، وشاهدي على ما أقول هو كتاب نهج البلاغة الذي جمعه الشّريف الرّضي - رضي الله عنه - من كلامه - عليه السلام -.

إذا عرفت هذه المقدّمات فاعلم: أنّ هذه الفصاحة العلويّة والبلاغة المرتضوية، قد ورثتها هذه المخدّرة الهاشمية، بشهادة العرب أهل البلاغة والفصاحة أنفسهم.

فقد كانت خطبتها في مجلس يزيد في الشّام في ذروة الفصاحة، وقمة البلاغة. وهنا سؤال قد يتبادر إلى الذّهن وهو: إنّ السيّدة زينب كانت سيّدة المحبّيات المخدّرات، ولم يسبق لها أن خطبت في مجلس رجال أو مجلس عام، وليس من السّهل عليها أن ترفع صوتها وتخطب في تلك الاجتماعات، فلماذا قامت السيّدة بإلقاء الخطب

على مسامع الجماهير مع تواجد الإمام زين العابدين -عليه السلام-؟
ومع العلم أنّ الإمام زين العابدين كان أقوى وأقدر منها على فنون الخطابة، وأولى من
التحدّث في جموع الرّجال؟

لعلّ الجواب هو: أنّ الضّرورة أو الحكمة اقتضت أن يسكت الإمام زين العابدين
-عليه السلام- طيلة هذه المسيرة كي لا يجلب انتباه النّاس إلى قدرته على الكلام، وحتى
يستطيع أن يصبّ جام غضبه كله على يزيد، في الجامع الأموي، بمرأى ومسمع من
آلاف المصلّين الذين حضروا يومذاك لأداء صلاة الجمعة خلف يزيد.

فلو كان الإمام زين العابدين -عليه السلام- يخطب في أثناء هذه الرّحلة.. في الكوفة
وغيرها، فلعله لم يكن ليُسمح له بالخطابة في أي مكان آخر، فكانت تفوته الفرصة الثّمينة
القيمة، وهي فرصة التحدّث في تلك الجماهير المتجمهرة في الجامع الأموي، علماً بأنّه لم
يبقَ من آل الرّسول في تلك العائلة رجل سوى الإمام زين العابدين -عليه السلام-.
ولهذا السبب كانت السيّدة زينب تتولى الخطابة في المواطن والأماكن التي تراها
مناسبة.

وليس معنى ذلك أنّها فتحت الطّريق أمام النّساء ليخطبن في جموع الرّجال، بل إنّ
الضّرورة القصوى كانت وراء خطبتها -عليها السلام-. هذا أولاً.

ثانياً: لقد كانت حياة الإمام زين العابدين -عليه السلام- مهددة بالخطر طوال هذه
الرّحلة وخاصة في الكوفة فكم من مرّة حكموا على الإمام بالقتل والإعدام، لولا أن
دفع الله -تعالى- عنه شرّهم؟!

فما ظنك لو كان الإمام -عليه السلام- يخطب في شارع الكوفة أو في مجلس الدّعي بن
الدّعي عبيد الله بن زياد، والحال هذه؟!

هل كان يسلم من القتل؟

طبعاً: لا.

إنهم أرادوا أن يقتلوه وهو بعد لم يخطب شيئاً، فكيف لو كان يخطب في الناس ويكشف لهم عن مساوئ بني أمية ومخازيهم، ويبين لهم أبعاد ومضاعفات جريمة مقتل الإمام الحسين -عليه السلام- وأصحابه وأهل بيته؟؟!

نص خطبة السيّد زينب -عليها السلام- في الكوفة:

والآن .. نذكر نص الخطبة، ثم نشرح بعض كلماتها:

قال بشير بن خزيم الأسدي:

ونظرت إلى زينب بنت علي -عليه السلام- يومئذ فلم أر خفرةً والله أنطق منها، كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا.

فارتدت الأنفاس، وسكنت الأجراس، ثم قالت:

الحمد لله والصلاة على أبي: محمد وآله الطيبين الأخيار.

أما بعد:

يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر!!

أتبكون؟ فلا رقأت الدّمعة، ولا هدأت الرّنة.

إنما مثلكم كمثّل التي نقضت غزها من بعد قوّة أنكاثاً، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم.

ألا وهل فيكم إلا الصّلف النّطف؟ والصّدر الشّنف؟ وملق الإماء؟ وغمز الأعداء؟

أو كمرعى على دمنة؟ أو كفضة على ملحودة؟

ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون.

أتبكون؟ وتتنجبون؟

إي والله، فابكوا كثيراً وضحكوا قليلاً.

فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترخصوها بغسل بعدها أبداً.

وأنتى ترخصون قتل سليل خاتم النبوة؟ ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهلا الجنة،

وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجّتكم، ومدرّة سستكم؟؟

ألا ساء ما تزررون، وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصّفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذّلة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة!

أتدرون أيّ كبدٍ لرسول الله فرّيتُم؟!

وأيّ كريمةٍ له أبرزتم؟!

وأي دم له سفكتُم؟!

وأي حرمةٍ له هتكتُم؟!

لقد جثتم بها صلعاء عنقاء سوداء فقهاء، خرّقاء شوهاء، كطّلاع الأرض وملء السّماء.

أفعبجبتُم أن مطرت السّماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى، وأنتم لا تنصّرون.
فلا يستخفّنكم المهلّ، فإنّه لا يحفّزه البدار، ولا يخافُ فوّت الثّار، وإنّ ربّكم بالمرصاد
(١).

قال الراوي: فوالله لقد رأيت الناس -يومئذ- حيارى يبكون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم . ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي حتى اخضلت لحيته، وهو يقول: (بأي أنتم وأمي !! كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير نسل لا يخزي ولا ييزى).

تأملات في الخطبة الشريفة:

١ - قبل أن نذكر بعض الدّروس والعبر من هذه الخطبة البليغة لا بدّ من الإشارة إلى بعض ما يرويه الراوي لهذه الخطبة، وهو قوله: (فلم أرَ خفرة والله أنطق منها)
يقال: خفرت الجارية: إذا استحت أشدّ الحياء، فهي خفرة. ومن الطّبيعي أنّ المرأة الخفرة يمنعها حيائها من أن ترفع صوتها، أو تخطب في مكان مزدحم، فمن الواضح أنّها إذا لم تمارس الخطابة لا تقوى على التّطق والتّكلم كما ينبغي، ولكن راوي هذه

الخطبة يقول: (فلم أرَ خفرةَ والله أنطق منها) أي: لم أرَ أقوى منها على التكلم، وأقدر على الخطابة، رغم كونها شديدة الحياء.

(كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)

إنَّ الإمام أمير المؤمنين -عليه السلام- هو إمام الخطباء والبلغاء والمتكلمين، وقد كان له أسلوب خاص، ومستوى رفيع في كلامه وخطبه، يمتاز عن كلام غيره، وفي أعلى قمة الفصاحة والبلاغة، وجودة التعبير، وعلو المستوى الأدبي والعلمي.

فمن ناحية: كان يسترسل في كلام ... دون أي توقّف أو شروء ذهني، وكان ينطق بالحروف ... دون أي تلوّث في التلفّظ، فقد كان في غاية التمكن من الكلام والخطابة.

ومن ناحية أخرى: كانت الكلمات الأدبية الرفيعة منقاداً له بشكل عجيب، فهي تنبع من لسانه نبعاً طبيعياً ... دون أي تكلف أو تحضير مسبق، وكان لصوته نبرة معينة.

ورأوي هذه الخطبة كان ممن رأى الإمام أمير المؤمنين -عليه السلام- وسمع كلامه، وها هو الآن ... يستمع إلى كلام السيّد زينب -عليها السلام- وبالمقارنة بين الكلامين يظهر له أنّ خطبة السيّد زينب صورة طبق الأصل لكلام أبيها، من ناحية الأسلوب والبيان والمستوى وغير ذلك.

٢- افتتحت كلامها بحمد الله ثم الصلاة على أبيها رسول الله -صلى الله عليه وآله- وهذا منتهى البلاغة فإنها بهذا الافتتاح عرّفت نفسها لتلك الجماهير المتجمهرة بأنّها بنت رسول الله -صلى الله عليه وآله- فألحفية تعتبر بنتاً كما أنّ الجد يعتبر أباً ولهذا قالت: الصلاة على أبي: محمد -صلى الله عليه وآله-، ومما يستفاد من هذا التعبير هو التأكيد على مسألة مهمّة جداً وهي مسألة بنوّة أولاد السيّد فاطمة لرسول الله -صلى الله عليه وآله- كما هو مصرح في آية المباهلة في قوله -تعالى-: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (٢).

لقد كانت لهذه الكلمات أشد الأثر في نفوس أهل الكوفة، فإنها قد أوجدت فيهم اليقظة والوعي بصورة عجيبة، حتى شعروا أنّ ضمايرهم بدأت تؤنبهم، وأن وجدانهم صار يوبّخهم على جرائمهم الفجيعة وجناياتهم العظيمة.

فقد ذكّرتهم كلمات السيّد زينب -عليها السلام- بماضيهم المخزي وتاريخهم الأسود، حيث صدر منهم الغدر مرات.

٣- (أتبكون؟!)

اعتُبرت السيّد زينب -عليها السلام- بكاءهم لدى المقايضة مع ما قاموا به من الجرائم نوعاً من التفاق والتّلوّن المشين، فإنّ رجالهم الذين باشروا الجريمة وهي مجزرة كربلاء الدّامية ونساءهم هنّ اللّواتي قمن بتربية أولئك الرّجال... على الغدر، وهاهم ييكون!!

ييكون وهم يشاهدون تلك الرّؤوس المقدّسة على رؤوس الرّماح، ويشاهدون حفيدات الرّسالة وبنات الإمامة على النّياق... بتلك الحالة المقرحة للقلوب!

من الطّبيعي أن يبكي كل من يشاهد هذه المشاهد، ولكن...

ما هي فائدة هذا البكاء؟!

ولماذا عدم القيام بتغيير أنفسهم؟!

لماذا عدم بناء نفوسهم ونفسياتهم؟!

لماذا عدم الهجوم على من أصدر الأوامر وهو الطّاغية ابن زياد وحاشيته الفاسدة؟!

إنّ الحاكم الطّاغي لا يستطيع الظّلم والتّعديّ إلا مع وجود الأرضية المساعدة والأجواء الملائمة للظّلم والطّغيان. والنّاس -بنفاقهم وخذلانهم لآل الرّسول الكريم- هم الذين مهّدوا للظّالمن القيام بتلك الفاجعة المروعة!

وهذا درس لكل مجتمع يؤمن بالله واليوم الآخر، ويريد أن يعيش في ظل حكومة عادلة.



٤- (إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً).

شَبَّهَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ أَهْلَ الْكُوفَةِ بِالْمَرْأَةِ الَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا، وَهَذَا التَّشْبِيهُ مُسْتَقْبَى مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَيَا لَهُ مِنْ مُسْتَوَى رَفِيعٍ فِي الْبَلَاغَةِ وَالْأَدَبِ الرَّاقِي وَإِلَيْكَ بَعْضُ التَّوْضِيحِ:

قال الله تعالى في القرآن الكريم: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيَّامَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ) (٣).

وقد جاء في كتب تفسير القرآن الكريم أنَّ امرأة حمقاء من قريش، تُسمى (ريطة بنت عمرو بن كعب) كانت تغزل مع جواربها إلى انتصاف النهار، ثم تأمرهنَّ أن ينقضن ما غزلن ولا يزال ذلك دأبها، واسمها "ريطة" بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة، وكانت تسمى فرقاء مكة. (٤)

فما كانت تقوم به (ريطة) لا يمثل عملاً بلا ثمر - فحسب - بل هو الحماقة بعينها، وكذا الحال بالنسبة لمن يُبرم عهداً مع الله وباسمه، ثم يعمل على نقضه، فهو ليس بعاث فقط، وإنَّما هو دليل على انحطاطه وسقوط شخصيته (٥).

٥- (فلا يستخفّنكم المهمل)

المهمل: بضم الميم جمع المهلة: وهي بمعنى الإنظار والإمهال وعدم العجلة (٦). أي: لا يصير الإمهال والتأخير في الانتقام سبباً لخفة نفوسكم وانتعاشها من الطرب والفرح، وبذلك تأخذكم سكرة الانتصار والظفر. فالانتصار الذي يتعقبه العذاب الأليم مع فاصل زمني قصير لا يعتبر انتصاراً حقيقياً، بل هو سراب مؤقت! إنَّ الإمهال ليس دليلاً على الإهمال، فإنَّ الله - تعالى - قد يمهّل، ولكنّه - سبحانه - لا يمهّل.

وبناءً على هذا.. فلا يكون الإمهال سبباً لتصوّر خاطئ منكم بأنَّ علة تأخير العقاب هي أنَّ الجريمة قد تمَّ التَّغاضي والتَّغافل عنها، ولسوف تنسى بمرور الأيام؛ لأنَّها شيء

حدث وانتهى .. بلا مضاعفات لاحقة، أو أن الانتقام غير وارد حيث أن الأمور قد فلتت من اليد.

كلا... ليس الأمر كذلك، بل شاء الله -تعالى- أن يجعل الدنيا دار امتحان لجميع الناس: الأخيار والأشرار، وقرر أن يدفع كل من يخالف أوامر الله ضريبة مخالفته... إن عاجلاً أو آجلاً.

فعدم تعجيل العقوبة لا يعني أن الأمور منفلته من يد الله الغالب القاهر العلي القدير، فهو المهمين على العالم كله. لكنه قد يؤخر الجزاء لأسرار وحكم يعلمها -سبحانه-، فهو لا يعجل العذاب للعاصين -أحياناً أو غالباً- ولكنه بالمرصاد، فكما أن الجندي الذي يجلس وراء المتراس يراقب ساحة الحرب، ويتنظر الوقت المناسب للهجوم أو لإطلاق القذيفة، كذلك العذاب الإلهي ينزل في التوقيت المناسب... مع ملاحظة سائر أسرار الكون. ولا مناقشة في الأمثال.

قال تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ* مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدَّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتُهُمْ هَوَاءً) (٧).

٧- قال الراوي: (فوالله لقد رأيت الناس - يومئذ - حيارى ييكون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم. ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي حتى اخضلت لحيته، وهو يقول: (بأبي أنتم وأمي!! كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير نسل لا يخزي ولا ييزي)).

لماذا قطعوا على السيدة زينب -عليها السلام- خطابها؟

كانت السيدة زينب -عليها السلام- الشجاعة المفجوعة تتكلم بصوت شجي، وكل كلمة منها تلهب أحاسيس الحزن والأسى والندم في الناس، حتى ضج الناس بالبكاء والعيول، وارتبكت قوات الأمن والشرطة، وصار كل احتمال للتمرد والانتفاضة وارداً، فكيف يتصرفون؟!



وماذا يصنعون حتى يقطعوا على السيِّدة زينب خطابها، ويصرفوا أذهان النَّاس إلى شيء آخر؟!

هناك من يقول: أمروا بحركة القافلة، وجاؤوا بالرَّمح الذي عليه رأس الإمام الحسين -عليه السلام- وقربوه من محمل السيِّدة زينب، وتعال صرخات النَّاس: هذا رأس الحسين... هذا رأس الحسين!!

وكانت عينا الإمام مفتوحتين، وهو ينظر نظرةً فريدة، وصفها المؤرخون بقولهم: (شاخص ببصره نحو الأفق)!

وهنا لم تستطع السيِّدة زينب أن تستمرَّ في الخطبة رغم شجاعتها وانطلاقها بالكلام، فهاج بها الحزن من ذلك المنظر الذي وتر أعصابها، وأوشك أن يقضي عليها... بسبب الألم الذي بدأ يعصر قلبها العطوف عصرةً يعلم الله درجتها.

فكان ردَّ الفعل منها أنها نطحت جبينها بمقدّم المحمل... وبكل قوة، حتى سال الدَّم من رأسها وجبهتها، وأومأت (أي: أشارت) إليه كما يشار إلى مكان وجود الهلال في أول ليلة من الشَّهر!

فنادت السيِّدة زينب -عليها السلام-:

يا هلالاً لما استتم كمالاً*** غاله خسفه فأبدا غروباً

ما توهمت يا شقيق فؤادي*** كان هذا مقدراً مكتوباً

الاحتمال الثاني: أن الإمام علي بن الحسين -عليه السلام- تقدّم إلى عمته - ولعل ذلك كان بأمر من الشرطة- وقال: يا عمّة! اسكتي، ففي الباقي من الماضي اعتبار، وأنت بحمد الله عالمة غير معلّمة، وفهّمة غير مفهّمة،... (٨).

الهوامش:

- ١- كتاب (الملهوف) للسيد ابن طاووس، المتوفى سنة ٦٦٤ هـ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .
- ٢- سورة آل عمران/ الآية: ٦١ .
- ٣- سورة النحل/ الآية: ٩٢ .
- ٤- يراجع تفسير الميزان/ ج ١٢/ ص ٣٣٥ .
- ٥- يراجع تفسير الأمثل/ ج ٨/ ص ٣٠٥ .
- ٦- كما يستفاد ذلك من (مجمع البحرين) للطبري .
- ٧- سورة إبراهيم/ الآية: ٤٢ و ٤٣ .
- ٨- الاحتجاج للشيخ الطبرسي / طبع لبنان / عام ١٤٠٣ هـ / ج ٢ / ص ٣٠٥ .





الحسين زين العابدين

حُزناً على الحوراء

الشيخ حسن أسد الله الكاظمي

إنَّ
الشعور
بالمسؤولية تجاه نصره
آل الرسول الأعظم صلى الله
عليه وآله-، وازدحام الفضائل، وتجمّع
موجبات العظمة والجلالة في شخصيّة السيدة زينب
الكبرى- عليها السلام

جعلت الشعراء يحومون حول هذه الشخصية العظيمة، لكي تجول أفكارهم على مسرح الخيال والتصور، تمهيداً للوصف، ولصياغة المعاني في قوالب الكلمات، وصَبغها بطابع الشعر والأدب.

إنَّ الأحداث الرهيبة التي عصفت بحياة السيدة زينب (عليها السلام) حرَّكت في الشعراء شعور القيام بنصرة المظلوم، ليقوموا بواجبهم الإنساني والإسلامي تجاه ثاني أعظم سيدة من سيدات نساء التاريخ، وليُلبَّتوا نداء ضمائرهم في نصرة أخيها سيد المظلومين الإمام الحسين -عليه السلام- .

إنَّ هؤلاء الشعراء الشرفاء سجَّلوا أساءهم في قائمة الذين نصرُوا أهل البيت النبوي، ونالوا شرف خدمة آل الرسول الطاهرين، فمدحوا مَنْ مدحهم الله -تعالى- في قرآنه المجيد، ورثُوا مَنْ بكت عليه الأرض والسماء، والملائكة والأنبياء، وحيتان البحار وطيور الفضاء !

وإليك بعض ما قيل من الشعر في السيدة زينب الكبرى (عليها السلام):

تسيل دموعُ العين حزنًا وتسكُبُ	إذا ذُكرت أُمُّ المصائب زينبُ
هي المثل الأعلى لكلِّ فضيلةٍ	وفي فضلها الأمثال في النَّاسِ تضربُ
تقوم لها العليا وتقعُدُ كلُّها	تبين لها الذكر الحميد وتعرُبُ
وكم حيرت في ذكرها كلَّ كاتبٍ	ومَنْ أخذته حيرةٌ كيف يكتبُ
وكم أعجزت في مدحها كلَّ شاعرٍ	وإن كان يحلو الشعر فيه ويعذبُ
فمَنْ جدَّها أو مَنْ أبوها وأُمُّها	ومَنْ أخاها حين تنمى وتنسبُ
قد اكتسبت أخلاقها وتادَّبَتْ	بآدابهم يا نعم هذا التأدَّبُ

مباركة في كل أرض تحلها
وعالمة لكن بغير تعلم
لقد أودعت أسرار آل محمد
وتحبو بها علماً وتوهب حكمة
تفوق نساء العالمين شجاعة
فما ترتاب البلايا جميعها !
تشق على الناس الصعاب وإنما
ألمت بها الأرزاء وهي كثيرة
ولله من قلب تحمل ثقلها
وما حُصرت في خطبة يوم روعها
لقد حملت يوم الطفوف رسالة
فأعطت جميع الواجبات حقوقها
فقامت بأعباء الرعاية كلها
لها وقفات صامدات صليبة
وليست تبالي لو تلوم عدوها
وما أظهرت شكوى إلى أحد ولو
ولم نر مغلوباً على كل أمره
وإن وقوع القول فوق نفوسهم
تجنبت الشيء المخل بشأنها
وكم أغلظت بالقول دون تريب

فتخضر منها الأرض يمناً وتخصب
وذا خبر يروى وليس يكذب
فتأخذ منها كل علم وتكسب
وطوبى لمن يحبها بهذا ويوهب
ومنها رجال العالمين تعجبوا
ولا هي من أعيائها تتهيب
يهون عليها ما يشق ويصعب
كقطر السما ليست تعد وتحسب
ولو حل قلباً دونه يتشعب
ويحصر يوم الرّوع من فيه يخطب
ينوء بها حملاً سواها وينصب
وما قصرت فيها يحق ويوجب
وما فاتها في الأمر ما يتطلب
أشد من الطود العظيم وأصلب
ولو هو مغتاز عليها ومغضب
ألم بها ما لا يظن ويحسب
يغالب بالقول العدو فيغلب
أشد عليهم من سهام وأصعب
وإن الكريم الحر من يتجنب
أمام الذي من أمرها متريب



أمام عبيدِ الله طوراً وتارةً
فيالَ مقامٍ لو يقوم مقامها
فتلهب باللفظِ النفوسِ حماسةً
لقد أنشبت حرباً عليهم طويلةً
ولو لم يكن إقدامُها وجهادُها
ويعجب من إقدامها كلُّ معشرٍ
تقلّبت الأحداثُ نصب عيونها
فمنظر قتالها أمام عيونها
فهذا على وجه الصعيدِ معفرٌ
وما برحت طول الحياة حزينةً
فما الرزء ينسى لا ولا الحزن ينتهي
ففي كلِّ يومٍ في السماء مآثمٌ
وإن بعين الله كلَّ وقعةٍ
فتطعن بالسمر العوالي صدورها
وإن بعين الله كلَّ عقيلةٍ
فطوبى لأرضِ الشامِ حيث تنزلت
تحلّ بها من نسوةِ الوحي حرّةٌ
تطيّبُ ترْبُ الأرضِ من طيبتها وكم
فمرقدُها في كلِّ قلبٍ معظمٌ
وتختلف الزوّارُ نحو مزارها
فلا فاته روحٌ من الله طيّبٌ

أمام يزيدٍ حين قامت تؤنّبُ
سواها قضى رعباً به حين يرعبُ
وما هي إلا جمرة تلتهبُ
مداها وما زالت مدى الدهر تنشبُ
لما كان شيء للوقعة ينسبُ
ولا عجبٌ منه إذا منه يعجبُ
وما أعظم الأحداثِ إذ تتقلّبُ
وهل منظرٌ منه أشدّ وأرهبُ
تريبٌ وهذا بالدماء مخضبُ
تنوح على قتلى الطُفوف وتندبُ
ولا النفس تسلو لا ولا الدّمع ينضبُ
وفي كلِّ عينٍ عبرةٌ تتصبّبُ
يطيح بها آلُ الرّسول ويعطبوا
وأعناقها بالمشرفة تضربُ
لهم في يد الأعداء تُسبى وتسلبُ
بها بركات تربها ليس يجذبُ
مباركةٌ ميمونةٌ هي «زينبُ»
تضوّع طيباً تربها المتطيّبُ
ومشهدُها في كلِّ نفسٍ محبٌ
تجيء إليه كلُّ يومٍ وتذهبُ
ولا جازه قطرٌ من السّحب صيّبُ

شُرَيْب



